

عَلَامَاتُ التَّوْفِيقِ لِأَهْلِ التَّحْقِيقِ

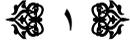
فوزى محمد البوزيري

مدير عام بالتربية والتعليم بطنطا
ورئيس الجمعية العامة للدعوة إلى الله
بجمهورية مصر العربية

يليب رسالة

عنوان التوفيق في آداب الطريق
للإمام عطاء الله السبكي

دار الأيمان والحياة



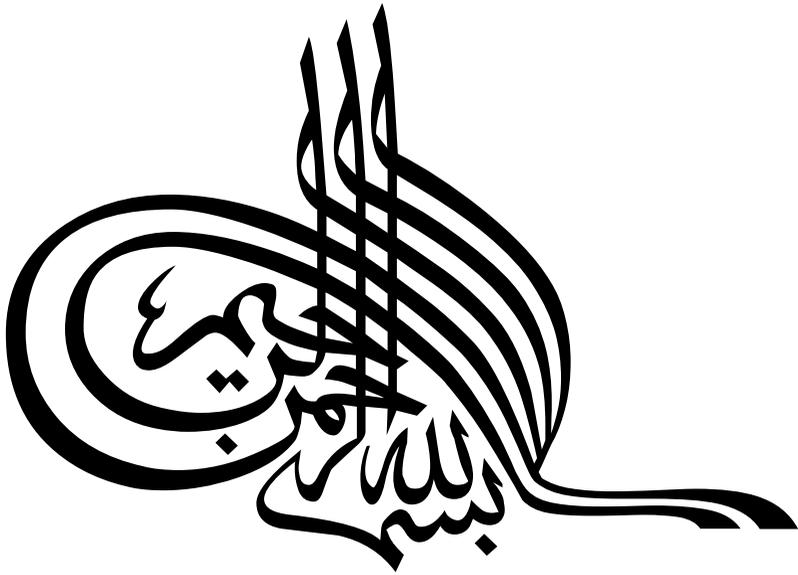
الطبعة الأولى

٢١ رجب ١٤٢٦ هـ
الموافق ٢٥ أغسطس ٢٠٠٥ م

الترقيم الدولي : ٩٧٧-١٧-٢٥٥٦-٤ :
رقم الإيداع : ٢٠٠٥/١٦١٥٣ :

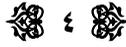
طَبَعَتْ فِي

دار نوبار للطباعة



عَلَامَاتُ التَّوْفِيقِ
لَاهِبِكَ التَّحْقِيقِ

فوزی محمد ابوزید



مُقَدِّمَةٌ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، يلهم القلوب بالعمل المطلوب،
والخير المرغوب، الذي فيه رضاء علام الغيوب .

والصلاة والسلام على الحبيب المحبوب، والكنز
الموهوب من لدن علام الغيوب؛ لكل عبد تخلّص من العيوب،
ووفى بالمطلوب، سيدنا محمد حبيب القلوب، وآله وصحبه
أجمعين .

وبعد،.....

استنبط أهل التحقيق، والعلماء العاملون من أهل الطريق
، علامات ودلالات على صحة أحوال أهل الطريق، إذا رآها
السالك في نفسه، أو العارف في وصله، علم صحّة قصده،
وصدق سعيه، وجميل صنعه؛ فيما يتقرب به إلى ربه عَلَّيْ،
فتثبت قدمه على الطريق، ويستبشر بفضل الله ورحمته، وتزول

بالكلية حيرته ؛ والحيرة هي أخطر عقبة تواجه المرید السالك ،
والمنتهي الواصل .

والحيرة حالة تنتاب العبد؛ تجعله شديد الاضطراب
والقلق لما ينتابه من خواطر ، ويعتوره من هواجس :

❁ فتارة تغلب عليه الخواطر الرحمانية ؛ فيفرح وينبسط بفضل
الله وجوده وإكرامه .

❁ وآونة تغلب عليه الهواجس النفسانية ؛ فينقبض ، وتجتمع
عليه الهموم ، وتسيطر عليه الأحزان والغموم ؛ لظنه أنه زلّ عن
الطريق ، أو ضلّ السبيل ، أو أخطأ فعوقب ، أو هفا فعوتب .

والمخرج من ذلك كله :

أن يزن الإنسان نفسه ، ويقيس أحواله بالموازن القرآنية
والأحوال السنية ، الواردة في كتاب الله ، والمبثوثة في سُنَّة
رسول الله ﷺ ، والظاهرة في أحواله المفردة ﷺ ، والمتواترة في
أحوال أصحابه الكرام ، ومن تبعهم في ذلك من أئمة السلف ،
وخيار الخلف .

وقد ذكرنا هذه العلامات ، وأشرنا إلى هذه الدلالات
بإيجاز ؛ لأن السالك في هذه الأحوال لا يحتاج إلى بسط

وإطناب ، وإنما يكفيه لحصول المقصود الإشارات ،
والتلويحات.

وقد سميناهما :

((علامات التوفيق لأهل التحقيق))

لأنه لا يحتاج إليها إلا السالك المتحقق ، ولا يشعر بها إلا من
يعاني...!.. أو يعاين هذه الأحوال...!..!.. فالأمر كما قال القائل :

لا يعرف الشوق إلا من يكابده

ولا الصبابة إلا من يُعانيها

أسأل الله وَعَجَّلْ أن يشمل بعنايته وودده ورحمته من كتبها
، وراجعها ، ومن نسّقها ، وخرّج أحاديثها ، وكذلك من طبعها
ونشرها ، أو ساهم في أي عمل في إخراجها.

كما أسأل عزّ شأنه ، أن ينفع بها من قرأها ، ويرزقه
العمل بها ، ويفيض عليه من فوائدها وعلومها وأسرارها ؛ ما
يجعله إماماً للمتقين ، ونبراساً للواصلين.

وصلّى الله على سيدنا محمد حجة الذاكرين، وقدوة
الواصلين وآله وصحبه أجمعين.



في صباح يوم الجمعة : ١٧ من جمادى الأولى ١٤٢٦ هـ ،
الموافق : ٢٤ من يونيو ٢٠٠٥ م.

فوزي محمد أبو زيد

الجميزة . غربية

تليفون

٠٢٠-٤٠-٥٣٤٠٥١٩

فاكس

٠٢٠-٤٠-٥٣٤٤٤٦٠

الموقع على شبكة الإنترنت

WWW.Fawzyabuzeid.com

البريد الإلكتروني :

fawzy@Fawzyabuzeid.com

fawzyabuzeid@hotmail.com

fawzyabuzeid@yahoo.com

الفصل الأول

الحيرة

الْحَيْرَةُ

❁ الحيرة موقف بين اليأس في الله... والطمع في الله...، بين الرضا.... والخوف...، وبين التوكل... والرجاء..... يقول فيها أبو نصر السراج الطوسي رضي الله عنه في كتابه "اللمع" (صفحة ٤٢١) :

❁❁ والحيرة بديهة ترد على قلوب العارفين ، عند تأملهم وحضورهم وتفكيرهم ... تحجبهم عن التأمل والفكرة . قال الواسطي رحمه الله :

" حيرة البديهة أجلُّ من سكون التولى عن الحيرة " .

❁❁ و" التَّحْيِيرُ " :

منازلة تتولى قلوب العارفين بين اليأس والطمع في الوصول إلى مطلوبه ومقصوده ، لا تطمعهم في الوصول فيرتجوا ، ولا تؤيسهم عن الطلب فيستريحوا ، فعند ذلك يتحيرون . وقد سأل بعضهم عن المعرفة ما هي ؟... فقال :

❁❁ التَّحْيِيرُ ، ثم الاتصال ، ثم الافتقار ، ثم الحَيْرَةُ . انتهى . ومعنى ذلك أن موقف التَّحْيِيرِ ، يتبعه الرجاء ، ثم الوصول إلى المطلوب ، ثم يشعر المتحير مرة أخرى باحتياجه

إلى الله وافتقاره إليه ، فهو الربُّ الغني الصمد ، وهو العبد الناقص المحتاج ، وبدوام الطلب للقربة والوصل ، يقع مرة أخرى في الحيرة.

فالعارف إذن ... بين حيرة واتصال ... ، وافتقار دائم .

والمعرفة توجب الحيرة والقلق . والعارف الحق يُمَيِّز بالحيرة والقلق ، وتظهر عليه الأحزان ، ويرى البعد في القرب مهما وصل واتصل .

قال القائل :

قد تحيَّرتُ فيك خذ بيدي ... يا دليلاً لمن تحيَّرَ فيك
ولا شك أن الحيرة لا تنتاب إلا الصادقين في سلوكهم ،
وسببها وموجبها :

❁ شدة محاسبتهم لأنفسهم .

❁ ويقظتهم الدائمة في مراقبة الله وَعَجَلًا .

❁ وتلهُّفهم الشديد في الوصول إلى مقامات الكمال ؛
وحصولهم على مواهب الكُمَّل من أولياء الله وَعَجَلًا .

ولذلك نجد الله وَعَجَلًا يخرجهم من حيرتهم بشرى صادقة ؛
أو تلويحة من الحقائق رائقة ، أو بعبارة كاشفة من قلوب ذائقة ،
أو بحكمة من أفئدة ألسنتها بالحق ناطقة .

❁ ومما يشير إلى ذلك سيدي عمر بن الفارض - رضي
الله عنه - والذي كان يقول :

زدني بفرط الحب فيك تحيُّراً

وارحم حشى بلظى هواك تسعراً

حيث يحكي عن نفسه فيقول:

" حصلت منِّي هفوة ؛ فوجدت مؤاخذة شديدة في باطني
بسببها ، وانحصرت باطنا وظاهرا ؛ حتى كادت روحي تخرج من
جسدي .

فخرجت هائما - كالهارب من أمر عظيم فعله وهو
مطالب به - ، فطلعت الجبل المقطم ، وقصدت مواطن
سياحتي ، وأنا أبكي ، وأستغيث ، وأستغفر ، فلم ينفرج ما بي .

وقصدت مدينة مصر ، ودخلت جامع عمرو بن العاص ،
ووقفت في صحن الجامع خائفاً مذعوراً ، وجددت البكاء
والتضرع والاستغفار ، فلم ينفرج ما بي ؛ فغلب علي حال مزعج
لم أجد مثله ؛ فصرخت وقلت :

من ذا الذي ما ساء قط ... ومن له الحسنى فقط

فسمعت قائلاً يقول من بين السماء والأرض ، أسمع
صوته ، وأرى شخصه :

محمد الهادي الذي ... عليه جبريل هبط

❁ وكذلك لما حج الشيخ شهاب الدين السهروردي -
شيخ الصوفية في زمانه بالعراق - ، وكان ذلك سنة ثمان
وعشرين وستمئة. وكانت وقفة عرفة يوم الجمعة .

حج معه خلق كثير من أهل العراق ، فرأى كثرة ازدحام
الناس عليه في الطواف بالبيت والوقوف بعرفة ، وإقتدائهم بأقواله
وأفعاله ، وبلغه أن الشيخ ابن الفارض - رضي الله عنه - في
الحرم ؛ فاشتاق إلى رؤيته ، وبكى ، وقال في سره :

يا ترى ! هل أنا عند الله كما يظن هؤلاء القوم فيّ ؟ !

ويا ترى ! هل ذكرت في حضرة المحبوب في هذا اليوم ؟

!

فظهر له الشيخ ابن الفارض رضي الله عنه وقال له :

يا سهروردي !....

لك البشارة فاخلع ما عليك فقد...

دُكِرْتَ ثُمَّ عَلِيَّ مَا فِيكَ مِنْ عَوْجٍ

فصرخ الشيخ شهاب الدين ، وخلع كل ما كان عليه ،
 وخلع المشايخ والقوم الحاضرون كل ما كان عليهم ، وطلب
 الشيخ فلم يجده ، فقال : هذا إخبار من كان في الحضرة .
 ثم اجتمعا بعد ذلك اليوم في الحرم الشريف ، واعتنقا ،
 وتحدثا سرا زمانا .

﴿ ولعل من أعجب ذلك ... :

ما حدّث به برهان الدين إبراهيم الجعبري أحد الصوفية
 المعاصرين لابن الفارض ، والذين اتصلوا به ، ولكن هذا
 الاتصال كان في اللحظات الأخيرة من حياة ابن الفارض ، وهي
 اللحظات التي أدركه فيها الجعبري وهو يحتضر ، حيث يقول :

﴿ كنت في السياحة بجعر بالفرات ، وأنا أخطب
 روعي بروحي ، وأناجيها بتلذذي بفنائني في المحبة ، فمر بي
 رجل كالبرق ، وهو يقول :

فلم تهوئي مالم تكن في فانيا

ولم تفنّ مالم تجتلي فيك صورتني

فعلمت أن هذا نفس محبٍ ؛ فوثبت إلى الرجل ، وتعلقت

به ، وقلت له :

من أين لك هذا النفس؟!... فقال :

هذا نفس أخي الشيخ شرف الدين ابن الفارض. فقلت له

: وأين هذا الرجل؟... فقال :

كنت أجدُ نفسَهُ من جانب الحجاز ، والآن أجدُ نفسه من جانب مصر ، وهو محتضِرٌ ، وقد أمرتُ بالتوجه إليه ، وأن أحضر انتقاله إلى الله تعالى ، وأصلي عليه ، وأنا ذاهب إليه .

فلما التفتَ الرجل إلى جانب مصر التفتُ معه ؛ فشممت أثر الرجل ؛ فتبعته أثر الرائحة ؛ إلى أن دخلتُ عليه في ذلك الوقت ... وهو محتضِرٌ... .. فقلت له :

السلام عليك ورحمة الله وبركاته . فقال :

وعليك السلام يا إبراهيم ! ، اجلس ، وأبشر ، فأنت من أولياء الله تعالى ، فقلت له :

يا سيدي !.. هذه البشرى جاءتني من الله على لسانك ، وأريد أن أسمع منك دليلا ؛ ليطمئن به قلبي ، فإن اسمي إبراهيم ولي من سر مقام هذا الاسم الإبراهيمي نصيب حين قال : " رب أرني كيف تحيي الموتى؟ قال أولم تؤمن؟ قال بلى، ولكن ليطمئن قلبي " ، قال :

نعم يا إبراهيم ، سألت الله أن يحضر وفاتي وانتقالي إليه
جماعة من أولياء الله ، وقد أتى بك أولهم ، فأنت منهم .

وكنت سألت جماعة من الأولياء عن مسألة ؛ فلم يجبني
أحد عنها ، فسألته عنها ؛ فقلت له :

يا سيدي! هل أحاط أحد بالله علماً؟ فنظر إلى نظر معظّم
لى ؛ وقال :

نعم!..إذا حيّطهم ! يحيطون يا إبراهيم ، وأنت منهم.

ثم رأيت الجنة قد تمثلت له ، فلما رآها ؛ قال :

آه!!، وصرخ صرخة عظيمة!، وبكى بكاء شديدا!، وتغير
لونه!، وقال :

إن كان منزلتي في الحب عندكم

ما قد رأيتُ فقد ضيّعتُ أيامي

أمنيةً ظفرتُ روعي بها زمنا

واليوم أحسبها أضغاثَ أحلام

فقلت له:

يا سيدي! هذا مقام كريم. فقال :

يا إبراهيم ! رابعة العدوية تقول وهي امرأة : وعزتك ما
عبدتك خوفاً من نارك ولا رغبة في جنتك، بل كرامة لوجهك
الكريم ، ومحبة فيك ، وليس هذا المقام الذي كنت أطلبه ،
وقضيت عمري في السلوك إليه .

ثم بعد ذلك سكن قلقه ، وتبسّم ، وسلّم عليّ ، وودعني ،
وقال :

احضر وفاتي وتجهيزي مع الجماعة ، وصلّ عليّ معهم ،
واجلس عند قبري ثلاثة أيام بلياليهن ، ثم بعد ذلك توجه إلى
بلادك .

ثم اشتغل عني بمخاطبة ومناجاة ؛ فسمعت قائلاً يقول بين
السماء والأرض، أسمع صوته ولا أرى شخصه :

يا عمر ! فما تروم ؟

فقال :

أرومُ وقد طال المدى منك نظرة
وكم من دماء دون مرماي طلت

ثم بعد ذلك تهلّل وجهه وتبسّم ، وقضى نحبّه فرحاً
مسروراً .

وكنا عنده جماعة كثيرة ، فيهم من أعرفه من الأولياء ،
وفيهم من لا أعرفه ، ومنهم الرجل الذي كان سبب المعرفة .
وحضرت غسله وجنازته ، ولم أرَ في عمري جنازة أعظم منها ،
وازدحم الناس على حمل نعشه ، ورأيت طيوراً بيضاً وخضراً
ترفرق عليه ، وصلينا عليه عند قبره .﴿﴾ .

﴿ والحكايات الواردة في هذا الأمر عن الصالحين كثيرة

والقرآن يحكي عن السيدة مريم قولها :

﴿ يَلِيَّتِي مِثُّ قَبْلِ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَّسِيًّا ﴾

[آية (٢٣) مريم]

وكذلك ورد عن الفاروق عمر رضي الله عنه ... أنه كان

يقول :

يا ليتني كنت تينة..!! ،

وأحياناً كان يقول :

يا ليتني كنت كبشا !! ، ذبحني أهلي وأكلوني..

....ونكتفي بهذا القدر رغبة في الاختصار ،

....والمؤمن يكفيه قليل الحكمة .

الفصل الثاني

علامات التوفيق

في بدايات أحوال أهل الطريق



- علامات التوفيق
- التوفيق
- العلامة الأولى : إلهام العبد ذكر الله
- بسم الله
- أذكار الصباح والمساء
- العلامة الثانية : الفقه في الدين

علاماتُ التَّوفيقِ ﴿*)

دائماً الإنسان السالك في طريق الله ﷻ يسأل نفسه :

﴿ هل أنا على خير ؟ ﴾

﴿ وهل الله ﷻ راضٍ عني ؟ ﴾

﴿ وهل الحبيب ﷺ ينظرني ؟ ﴾

﴿ وهل الصالحون المقامون يقومون بإمدادي وإرشادي ؟ ﴾

لأن السالك عنده قلق دائم في هذه النواحي ونلخصها في

سؤال واحد هو :

متى أعلم يقيناً أن الله ﷻ يحبني؟

هذه الأسئلة لا تحتاج إلى اجتهاد عقلي في الإجابة عليها

أو إلى تأويل وتفسير سفسطائي في الرد عليها . لكن يسأل الإنسان فيها ، حبيب الله ومصطفاه .

ومن إكرام الله ﷻ لهذه الأمة :

أنه ما من شيء سيحدث للأمم ، أو للأفراد ، أو

للجماعات ، في شتى المناحي وفي اختلاف الأغراض ؛ إلا وقد

(*) كان هذا الدرس بمقر الجمعية العامة للدعوة إلى الله بحدائق المعادي بالقاهرة ، يوم الخميس ٩ يونيو ٢٠٠٥ م الموافق ٢ من جمادى الأولى ١٤٢٦ هـ.

أحدثه الله في زمانه ؛ لينطق فيه بحكم الله... مؤيداً ببرهانه
وقرآنه...

فلا توجد حاجةٌ ستحدث إلى آخر الزمان ؛ إلا وقد حصل
شبيهةٌ لها في عصر حضرة النبي ، وقضى فيها بحكم الله وَعَجَّلَ
حتى لا نزل ولا نضل ولا نتحير ؛ ما دمنا نرجع إلى حضرته ،
ونتناول من شهى سنته الحكم الذي قاله عن الله .

وإن كان هذا يحتاج إلى أولي الأمر، أو إلى أهل الإستنباط
الذين يقول الله وَعَجَّلَ فيهم :

﴿ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ [(٨٣) النساء]

هل تتصور أنه في حجة رسول الله ﷺ حدث كل ما
يمكن أن يتصوره العقل أو يتخيله الإدراك في الحج في أي زمان
ومكان؟... على سبيل المثال :

الحج إما إفراد، أو قران، أو تمتع.

ألا تعلمون أن سيدنا رسول الله ﷺ أجرى الكل على ذاته
الشريفة ؛ ولذلك اختلف الأئمة أيهم أفضل ؟

منهم من قال الإفراد ؛ لأن الرواية التي وصلته أن رسول
الله أفرد بالحج ، ومنهم من قال القران ؛ لأن الرواية التي وصلته
أنه قرن بالحج ، ومنهم من قال التمتع . فالكل رأى على قدره

في حضرة النبوة ، ما يلائم قدراته ، ويناسب أحواله في شريعة الحج .

حتى أنه وهو على عرفات ، مات واحد من المسلمين وهو محرم ؛ ليعلمنا كيف نفعل في من مات محرماً ؟ ماذا نفعل يا رسول الله؟.. قال :

ادفنوه على هيئته .

فلو لم تحدث مثل هذه الحالة ؛ ماذا كنا نفعل؟

لكن كل شيء حدث في عصره وزمانه وأوانه ، وقضى فيه بحكم الله ﷺ صلى الله عليه و سلم .

وإن كان الحكم غاب عني ؛ فلا يغيب عن الرجال الذين يشاهدون أحوال الحضرة المحمدية كما يشاهد بعضنا بعضاً . فإن كان الاختلاف يأتي من جهة فهم الكلام ، فإنهم يعاينون حقيقة هذا الكلام ؛ ومن هنا ليس عندهم خلاف في فقه هذا الكلام.

كيف يتوضأ ؟ ... لماذا يختلفوا !؟

لقد رأوه وهو يتوضأ ، المشهد موجود ، أعاد الله لهم المشهد ؛ فرأوه ؛ فتوضئوا كما رأوه .

وهؤلاء كما قال الإمام أبو العزائم - رضي الله عنه - :

" عشقتك كشفاً لا سماع رواية " !! فالعشق هنا كشف ؛
 لأنه قد رأى ، وإن كان قد رأى على قدره ، وليس على قدر
 الحضرة المحمدية ؛ لأنها حضرة عليّة ، لا يستطيع أحد من
 الأولين والآخريين أن يصل إلى ذرة من حقيقتها ؛ إلا بلطف
 يلطف به ربُّ العالمين ، ليستطيع أن يرى ذرّة من أنوار سيد
 الأولين والآخريين ﷺ .

إذا كان جبريل ، لو صعد قدر أنملة بعد السدرة احترق -
 وهو نور - فماذا نفعل نحن ؟

فيلزم هنا لطف الله ؛ لكي يتمتع الإنسان على قدره بما
 يسمح به الله ، من حضرة حبيب الله ومصطفاه .
 فنحن نسأل حضرة النبي في كل أمر .



التوفيق

﴿ وأعلى بضاعة في كتاب الله ، وعند أنبياء الله ، ورسول الله ، ولدى الصالحين من عباد الله... ماهي؟
هي قول الله جلّ في علاه :

﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ [الآية (٨٨) سورة هود]

التوفيق ! ، ولذلك لم يذكره الله إلا مرة واحدة ، وعلى لسان نبي ، لأنه بضاعة غالية .

فإذا شملك الله بالتوفيق ... تُه على الزمان وأهله ، واعلم أنك من أهل عنايته ، وأنه لا بد أن يتوجك بتاج ولايته ، وأنه سبقت لك الحسنی ، بأنك من أهل سعادتته :

شمس العناية يا مرید جنابي

لك أشرفت وكتبت من أحبابي

ته يا مرادي على الزمان وأهله

لما كتبت من أحبابي



العلامة الأولى : إلهام العبدِ ذكرُ الله

وأكبر علامة من علامات التوفيق ، نسأل فيها النبي
الشفيق ﷺ ، ما هي؟... قال :

{ إذا أحبَّ الله عبداً ألهمه ذكره }^١

إذن فالذكر إلهام .

والذي يحبه الله ؛ يلهمه ذكره على الدوام . لأن المنافقين
يذكرون ، ولكن كما ذكر الله ذلك في القرآن ، فقد قال في
شأنهم :

﴿ لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾ [سورة النساء]

فهل الذكر بهذه الكيفية علامة توفيق ؟

..... لا !

﴿ ولكن علامة التوفيق :

﴿ أن يذكر الله على الدوام .

﴿ وأن يكون ذكره رغبة في القرب من الملك العلام ، وليس

رياء ولا سمعة ولا شهرة .

(١) وفي رواية أخرى لابن أبي الدنيا والبيهقي : " أكثروا ذكر الله على كل حال ، فإنه ليس عمل أحب إلى الله ، ولا أنجى لعبده من ذكر الله تعالى في الدنيا والآخرة " .

وهذا هو ذكر القلب ، وليس ذكر اللسان ؛ لأنه إلهام .

﴿ ما الذي يتلقى الإلهام : اللسان ؟ أم القلب ؟

.....القلب .

﴿ فأكبر علامة على التوفيق :

أن يلهم الله ^{عَبْدَكَ} العبد دوام ذكر الله .

﴿ وهل من يقعد في جبل ! ، أو في خلوة ! ، ويمسك

بمسبحة ألفية ، ويذكر الله على الدوام !.. يكون ذلك علامة على

حبّ الله له ؟

نعم ! هذا الذكر علامة حبّ الله ؛ .ولكن على قدره .!

ولكن هناك حبّ أعظم ! ، وحبّ أكرم ! ،... ما علامته؟

أن يذكر الله على منهج حبيب الله ومصطفاه . والحبيب

لم يقعد في جبل ... ، ولم يترك العمل والأهل !...!

﴿ فكيف كان يذكر الله إذن..؟

قالت السيدة عائشة :

كان يذكر الله على كل أحيانه

فلكل لحظة ذكرها ، ولكل حالة ذكرها ، ولكل نازلة ذكرها .

والتقي النقي الذي يذكر في كل حالة بما يلائمها من بحر النبوة .

﴿ ونحن نتكلم عن " علامات التوفيق في بدايات أهل التحقيق " ، أو " لمن بدء سلوك الطريق " ... تكون علامة أنه ماشي صح في البداية . لكن علامات التوفيق لأهل التحقيق ، بحرٌ لو تكلم فيه أي إنسان فهو غريق ؛ لأنه يستلزم " ذق تعرف " .

﴿ لكن لأهل البداية :

فسيدنا رسول الله كان من لحظة قيامه من النوم ، إلى أن يخلد إلى النوم يذكر الله !!
ولكن كيف كان يذكر الله؟

أيقول : يا ودود - مائة ألف مرة - ؟

أو : يا لطيف ؟

أيذكر الله بثلاثة عشر إسما ؟... أم بسبع أسماء ؟... أم بخمس أسماء ..؟

لا هذا ولا ذاك ، ولكن كل حالة لها ذكرها .

فساعة صحوه من النوم كان يقول :

" الحمد لله الذي أحيانا بعد مماتنا وإليه النشور " .

وهذا هو ذكر هذه الحالة ، والمؤفق في بدايته ؛ لا يعدل
عن هذا الذكر ، والموفق في نهايته ؛ لا يترك هذا الذكر .

﴿ وكيف يذكر؟

بصوت عالٍ يسمع من حوله لكي يتعلموا.

﴿ ما الذي ضيَّع أولادنا ، وبناتنا ، ونسائنا ؟

أن الذي يذكر فينا ... ، يذكر في سره ...!!

فماذا سمعت ؟ وممن ستتعلم ؟

لكن الأئمة الأعلام قالوا : أن الحبيب كان يذكر بصوت

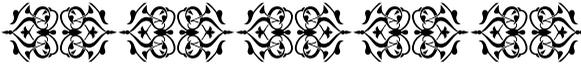
عالٍ ليُسمع كل من حوله ، حتى عند صلاته كان وهو راكع
يسبِّح بصوت لكي يعرف ويسمع من خلفه ، وهو ساجد أيضا ،
كذلك كانت الدعوات التي يدعوها ؛ يدعوها بصوت مسموع
لكي يسمع من خلفه ما يقول .

ولو كان يذكر في سره وفي نفسه هل كنا سنعرف هذه الأذكار؟!!

فلو أن زوجتي جاهلة ، ورددت بجوارها هذه الأذكار ؛
لحفظتها خلال شهر واحد فقط - من غير قراءة ولا كتابة - ،
وأولادي نفس النظام ، ولكننا غير مهتمين بهذا الأمر ، حتى لو
قال الواحد منا ذكرا معينا فإنه يقوله مرة ، وينساه عشر مرات .

ولكن سيدنا رسول الله لم يكن كذلك ، فقد كان لكل مناسبة عنده ذكر خاص .

فعندما كان يخرج للخلاء ماذا كان يعمل؟
لازم يذكر.



بسم الله

إن عكاز المسلم ، والمؤمن ، والمحسن ، والموقن ، وكل من قال لا إله إلا الله هو : " بسم الله " .

فيا حبذا لو عوّدنا من حولنا على ذلك :
كلما أمسك أي شيء يقول بسم الله ، وكلما رفع أي شيء يقول بسم الله ، وكلما يكتب حاجة يقول بسم الله .

﴿ كيف نعلمهم ؟ ﴾

بالحال !..فلو قلت له قل بسم الله ؛ فربما لا يقولها .
لكنه عندما يراني ويسمعني عند كل شيء أقول بسم الله ، بسم

الله ؛ سيتعلم ، وسيقلدني ؛ لأن الأولاد يتعلمون بالمحاكاة ،
والمشابهة ، والمحاكاة ، ويحاول كل طفل أن يقلد الأكبر منه
في ذلك .

فعند الطعام ، قل : بسم الله ؛ يكن في الطعام بركة .
وكذا الماء ، عند نزوله من الحنفية ، قل : بسم الله ؛ فإن
بسم الله فيها شفاءً وبركة .

أي عمل سأعمله أنا ، أو زوجتي ، أو عيالي ، أقول قبله
بسم الله ؛ يكون فيه البركة . والنبي ﷺ قال :

{ كل شيء لا يبدأ فيه ببسم الله ؛ فهو أبتَر }^٢

وأبتَر يعني ناقص البركة ...!! ، حتى لو أنني غير حافظ
للأذكار ؛ أَلن أقدر على قول بسم الله ؟!!

﴿ إذا كان الرحمن الرحيم جعل افتتاح كل سورة من
سوره بـ " بسم الله الرحمن الرحيم " ، وحتى سورة الحرب ؛
اقتضى الأمر ألا تبدأ ببسم الله ؛ فعوض هذه البسملة في سورة
أخرى ؛ لكي يكون عدد البسملة في كتاب الله ، كعدد سور
كتاب الله مائة وأربعة عشرة . أليس كذلك يا إخواني ؟

(٢) رواه ابن ماجة وابن حبان وأبي داود عن أبي هريرة.

إنه يعلمنا ..!!.. وهل كلام الله **عَجَلٌ** يجب أن يبدأ
ببسم الله ؟

ولكن ليعودنا !!

❁ فبسم الله ، ثم .. " اللهم إني أعوذ بك من الخبث
والخبائث " ، وآداب قضاء الحاجة الشرعية .

❁ ثم عند خروجه من الخلاء ... " غفرانك ، الحمد لله
الذي أذهب عني الأذى وعافاني " ، وهذا هو ذكر هذه المناسبة
، فهل هناك ذكر آخر ... يسد مقام هذا الذكر..؟

لا..!

❁ ويتوضأ ... يقول **صَلَّى** :

{ إذا نام ابن آدم عقد الشيطان على قافيته ثلاث عقد
وقال له عليك ليل طويل فارقد ، فإذا قام فذكر الله حلت
عقدة ، كيف ذكر الله؟ بالذكر الذي رده رسول الله .. فإذا
توضأ حلت الثانية ، فإذا صلى حلت جميع عقده ،
وأصبح طوال يومه نشيط البدن غير كسلان ؛ وإلا
أصبح طوال يومه خبيث النفس كسلان }^٣

(٣) صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وذلك إذا نسي الروشته النبوية التي عملها خير البرية ﷺ ، يتوضأ ، ثم بعد الوضوء ينظر إلى السماء ويقرأ :

﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْتَلَفِ

الَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ [آل عمران]

إلى آخرها ، ويقول لمن حوله : " ويل لمن قرأ هذه الآيات ولم يتفكر " ، وفي رواية : " ولم يتدبر " ، ويدعو الله ﷻ ، ويصلي ما يفتح به الله سبحانه وتعالى ؛ عملاً بقوله عزّ شأنه :

﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ

يَبْعَثَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ [الإسراء]

❁ وهكذا ، قس على ذلك .

❁ عند خروجه من باب البيت لازم له ذكر .

❁ إذا كان ذاهباً للعمل ، أو زيارة ؛ يكون الذكر العام :

" بسم الله ، توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم "

❁ وإذا كان ذاهباً إلى المسجد ؛ يزيد عليها :

" اللهم بحق السائلين عليك ، وبحق الراغبين إليك ،
وبحق ممشاي هذا إليك ، فإنني لم أخرج أشراً ، ولا بطراً ، ولا
رياء ، ولا سمعة ؛ إنما خرجت اتقاء سخطك ، وابتغاء مرضاتك
، فاغفر لي ذنوبي ؛ فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت " .

﴿ سيدخل المسجد ؛ يدخل باليمين ، ثم يقول :

" بسم الله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، اللهم افتح
لنا أبواب رحمتك " .

﴿ عند الخروج من المسجد يخرج بالشمال ثم يقول :

" بسم الله ، اللهم افتح لنا أبواب فضلك ، اللهم قنا شر
إبليس وجنوده " .

لماذا يا رسول الله ؟ .. يقول : إن إبليس وجنوده يقفون
على أبواب المساجد ، فإذا خرجتم فقولوا :

" اللهم قنا شر إبليس وجنوده ؛ فإنهم ينصرفون عنكم " .

﴿ وإذا دخل إلى بيته ؛ يلزم الذكر .

﴿ ففي كل حركة وسكنه يفعلها المسلم ، دعاء وارد عن
إمام الرسل والأنبياء ، بعض هذه الأدعية يا إخواني ، يعلموه
لأولادنا في الروضة حالياً...!!..أليس كذلك؟

لكن كلها يتعلمها السالك في بداية سلوكه ، ويتحقق بها في كل حركاته وسكناته ، فلا يمشي ، ولا يذهب ، ولا يجيء ؛ إلا ولسانه ينطق بدعاء ورد عن سيد الرسل والأنبياء :

﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا ﴾

[آية (٢١) ، سورة الأحزاب]

﴿ حتى الأكل : له أدعية في البداية ، وفي النهاية .

﴿ والشرب : له أدعية في البداية ، والنهاية .

﴿ حتى النكاح : أليس له دعاء ؟ ومن الذي يدعو به ؟

هل الرجل !.. فقط..؟

بل هو وهي ، ولذلك لازم يقول بصوت عالٍ ؛ لكي تتعلم ، وتقول أيضاً :

" بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان ، وجنب الشيطان ما رزقنا "

﴿ كل هذه الأدعية لازم يقولها بصوت عالٍ ليسمع من

حوله ؛ لكي يتعلموا منه .

﴿ الإمام الشافعي - رضي الله عنه وأرضاه - كان من هديه في مذهبه المبارك : أن الإمام يجهر بنيته - مع أن النية محلها القلب - فيقول مثلاً : نويت أصلي العشاء لله تعالى أربعة ركعات حاضراً.. الله أكبر.. ، لماذا؟

قال : ليتعلم الذي خلفه ؛ لأنه كان يرى في هذا الوقت أن معظم الناس أميون ، فكيف يتعلمون .

ولذلك كانوا يجهرون بنحتم الصلاة .. ، لماذا ؟

قالوا : لكي يتعلم الناس . فكان أغلب العوام لا يحفظ آية الكرسي ، فيحفظها سماعاً من الإمام .

﴿ فكل شيء له ذكره ، مثلاً : سيؤذن ! ، لا بد أن أؤذن أنا أيضاً..! من الذي يؤذن يا إخواني ؟.. المؤذن ؟ أم كل المسلمين ؟..

بل كل المسلمين ، لأنه يؤذن ، وأنت تردّد ،... إذن كل المسلمين لحظة الأذان في آذان . ومن يتكلم أثناء الأذان !؟

قالت السيدة عائشة في ذلك :

" كان ﷺ يحدثنا ونحدثه ، فإذا استمع إلى الأذان ؛ فكأنه لا يعرفنا ولا نعرفه " ، لماذا ؟

يردّد الأذان أولاً.



أذكار الصباح والمساء

هناك أذكّارٌ يا إخواني هي أذكار النوازل ، هناك أيضاً أذكار الصباح والمساء .

﴿ ماذا يقول الإنسان بعد صلاة الصبح ، لكي يقيه الله من الآفات ؟ ويحفظه من الأمراض والعاهات ؟ ومن شر طوارق الإنس والجن .! ؟ ﴾

كل حاجة في الروشته النبوية موجودة وكاملة :

الأدعية التي بعد صلاة الصبح ، ومثلها بعد صلاة المغرب ، بعد الصبح يقول : " أصبحت " ، وبعد المغرب يقول : " أمسيت " ، أو إذا كانوا جماعة يقولون : " أصبحنا " ، أو " أمسينا " .

﴿ هذه هي الأساس الأول الذي عليه المعوّل لمن يريد الفتح ، لكن أترك هذه الأدعية والأذكار ، وأمسك السبحة وأقول : " يا لطيف " مائة ألف مرة ، هل أنا اهتديت بالسيد الأعظم عبد الله اللطيف ؟ واقتديت به ؟ لكي يفتح عليّ اللطيف ..؟! بمجرد أن أنادي ..!!..يفتح لي ؟ ﴾

لا...!

لأن مفتاح الفتح : هو الإقتداء بسيد الرسل والأنبياء ،
ليس بالكلام ، ولكن بالإقتداء ! ، فهو سر الفتح ، ولذلك
عندما قالت السيدة عائشة : " كان يذكر الله على كل
أحيائه.. " ،... كيف ؟

بهذه الأذكار !. لأنه إذا قيلت هذه الأذكار في أوقاتها ،
هل سيكون هناك وقت فراغ عند الإنسان ؟ لا...!

﴿ لأنه سينظر : إذا نظر لابنه ، أو ابنته ، أو نظر لأكل
، أو شرب في البيت ، ... سيقول :

" بسم الله ، ماشاء الله ، لا قوة إلا بالله " ، وكانت على
لسان رسول الله على الدوام ، وإذا قالها الإنسان فقد حرّز من
رآه ، أو من ينظر إليه بسم الله جلّ في علاه .

ولذلك يقع المسلمون في بعضهم الآن ، يقول أحدهم
نظر فلان لابني ؛ وحصل له كذا... وهو محقّ !!...، لماذا ؟
.. لأن فلان هذا نظر ، وقد لا يقصد الحسد ، ولكن لم يحرّز
أخاه بـ" بسم الله ، ماشاء الله ، لا قوة إلا بالله " ، فلو تأسينا
برسول الله ؟ هل سيكون هناك حسد موجود بيننا ؟

لا...، ولذلك قال الإمام أبو العزائم في كتاب النور المبين

((قد يصل العبد إلى حالة من الإيمان ؛ لا يؤثر فيه السحر ولا الحسد)) ، لأنه يحرز نفسه .

فمن الجائز أن يكون الذي يحسد.. هو أنت ..! كيف..؟
سوف تنظر لشيء عندك ويعجبك ..!.. ولم تحرزه !!؛ فيحدث التأثير من القوى الغيبية للقوى الظاهرية ، بأمر لا يستطيع الإنسان بيانه ، لكن يستطيع عيانه - إذا كشف الله له حاله - فتأثير النفوس غريب !! ، ولا يقدر أحدٌ على رؤيتها !!.

﴿ انظر كيف تؤثر بالنظر..؟! ﴾

حينما ينظر إنسان لإنسان ؛ يرتبك أو تحدث له رهبة .. لماذا ؟ هذه أحوالٌ كشفية ، لا يقدر اللسان على بيانها .

الذي يحمي من هذا كله روثة العلي الكبير :

﴿ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ

إِلَّا بِاللَّهِ ﴾ [الآية (٣٩) الكهف]

كم مرة يقولها المؤمن بالنهار ؟ لا تقل عن خمسمائة مرة

لأنه ينظر على الدوام ، والذي يقل عن خمسمائة مرة ؛ فأمامه جهاد شديد لكي يتابع السيد السند العظيم صلى الله عليه وسلم ، ويكون

غافلاً... وإن كان لسانه يلهج بلا إله إلا الله ، أو أستغفر الله ،
 لكنه غافل عن حقيقة المتابعة لسيدنا ومولانا رسول الله ﷺ .

لأن هذه الأذكار هي الأذكار الرافعة والفاتحة ، التي سنّها
 رسول الله ، والتي بها قال له الله :

﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴾ [الفتح]

ماذا فتح له؟ .. هذا هو الفتح ! لم يقل الله : فلولا أنه كان
 من الذاكرين للبت في بطنه إلى يوم يبعثون ، ولكنه قال:

﴿ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴾ [الصفات]

إذن الذكر المناسب هنا ، ما هو ؟

التسبيح !.

والذي يعلم ذلك هو الطبيب الأعظم ﷺ .

﴿ ماذا أفعل ؟ ﴾

أمشي خلفه ، مثلما قال الصالحون : " حذو النعل بالنعل ،
 والقدم على القدم " .

لكن الإنسان يريد أن يستسهل ، فيذكر بذكر واحد ،
 ويردّده اللسان في غيبة القلب والجنان ، لأن أذكار رسول الله

تحرك القلب والفكر ، لأن كل ذكر له حالة والفكر يشتغل فيه .
 " الحمد لله الذي أحيانا بعد مماتنا وإليه النشور " ، فإذا
 تفكرت فيها... أنا كنت ميت ، لا حول لي ولا طول ، وأصبحت
 حياً ، وسأموت ، وسيأتي يوم النشور !!.. هنا يُشغل دائرة الفكر
 وكل ذكر له موضوع .

﴿ إذن القلب لازم يكون حاضر لكي يأتي بالذكر
 المناسب ، لكن عندما أجلس ، وأذكر " لا إله إلا الله " - مائة
 ألف مرة - وعيني تنظر هنا وهناك ! ، فاللسان يقول ، والقلب
 مشغول !! .

لكن أذكار رسول الله تقتضي حضور القلب ، وجولة الفكر
 ، والفكر... هو أساس الفتح بالذكر: ﴿ الذين يذكرون الله قياماً
 وقيوداً وعلى جنوبهم ﴾ وبعد ذلك.. الفتح..:

﴿ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾

[الآية (١٩١) آل عمران]

عندما يمشي الإنسان في ساحة هذا الذكر بعد صفاء
 النفس ، وطهارة القلب ؛ يبدأ الفكر؛ فتأتي له أرسال وأمواج من
 العلوم الإلهية ، والإمدادات الربانية ، ويكون أساسها الفكر .

ولذلك بداية العلوم الوهية : تأتي نتيجة الفكر بهذه
الكيفية :

لأنه عندما يتفكر الإنسان ؛ من الممكن أن ينسى من
حواله ، ويذهب في دائرة ثانية خالص ، يتولاه الولي ، ويلهمه
بإلهامات نافعة ورافعة في ذلك الوقت والحين ، ويؤيدها له
بنصوص في كتاب رب العالمين ، وأحاديث صحيحة عن سيد
الأولين والآخرين صلى الله عليه وسلم .

ولذلك عندما ترى إلهامات الصالحين أين هي ؟ إما
في آية قرآنية ، أو في حديث نبوي.

كيف تأتي؟

تأتي نتيجة الفكر .

عندما يصوم الرجل الصالح في أول رمضان ، لم يكن يصم مثلنا
! ولكنه كان يتفكر لماذا اصوم ؟

ولمن أصوم ؟

وماذا أريد بصيامي ؟

أنا أريد الله ، ففوراً يبعث له الله :

{ صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته }^٤

(٤) صحيح البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه.

الناس يقولون رؤية الهلال ! ، ولكنه يقول إنها رؤيته هو....
فأنا أصوم من أجل رؤيته !
ومتى أفطر ؟

إذا حصلت رؤيته !

وإذا لم تحصل الرؤية ؟

أواصل الصيام على مدى الأيام حتى يمتعني الله وَعَلَيْكُمْ
بهذا المشهد العظيم وأدخل في قول الله :

﴿ ٢٣ وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ ٢٢ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾

[سورة القيامة]

" فإن غم عليكم... " ، الحديث . :

فإن غمت الرؤية بسبب الحظوظ ، والأهواء ، والزور ،
والبهتان ، والمعاصي ، والمخالفات ؟

فاكملوا عدة شعبان !! شعبوا الخير ، وكثروا فروع الخير
- لأنه سمي شعبان لأنه تتشعب فيه فروع الخير - فشعب
الخيرات ، وشعب أبواب القربات ؛ حتى يتم الله وَعَلَيْكُمْ عليك
النعمة ، وينعم عليك بهذه المكرمات .

وذلك نتيجة الفكر بهذه الكيفية !..!

﴿ ولذلك فدائماً علامة توفيق المرید ، وعلامة سعادة

المرید :

أن تجده في بدايته (ماشي) مع رسول الله دائماً ، لأنه يستحضر حضرته في كل عمل ، أو حركة ، أو سكنه ؛ ليرى : كيف عملها رسول الله ؟ ... فيعمل مثله..!
ماذا قال ؟.... يقول مثله..!

﴿ ولذلك مقرر المدرسة المحمدية لأهل البداية :

هي هذه الأذكار . يطالها في كتاب :

" الأذكار للإمام النووي " - رضي الله عنه وأرضاه - ، وكان الصالحون يقولون فيه : " بع الدار واشتري الأذكار " .
أو " عمل اليوم والليلة للإمام ابن السني " .
أو " الإمام ابن ماجة " ، لكي يعرف هذه الأذكار .

﴿ وقد أخذنا منها الأذكار الأساسية ، ووضعناها في

كتابنا :

(أذكار الأبرار) .

لكي يحفظها المرید ولن تُحفظ مثل النصوص ، أو القرآن ، ولكن لن تحفظ إلا بالتكرار ، والاستمرار...!!
ولا يغير لفظا .

لأن سيدنا رسول الله عندما سأله أحدهم :

ماذا أقول عند النوم ؟

فأعطاه هذا الدعاء وهو :

" اللهم إني وجهت وجهي إليك ، وأسندت ظهري إليك ،
لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك ، اللهم إني آمنت بكتابك
الذي أنزلت ، وبنبيك الذي أرسلت... " .

وقال :

أعد عليّ الدعاء ، فأعاد الدعاء إلى أن قال :

(اللهم إني آمنت بكتابك الذي أنزلت ، وبرسولك الذي

أرسلت) ؛ فقال :

(لا ... وبنبيك الذي أرسلت) .

وعندما نسمع ذلك أو نقرأه نقول : (أن كلمة رسول

أشمل وأعم) ، لكن عند حضرة النبي (لا) ، لكي يعلمنا أن لا

نجتهد في هذه الأدعية ، ولكن نردّها كما وردت .

ولا تقل : إن كله يوصل .

لأن الكلمة التي قالها ؛ قالها بمدد من السماء ، ويفتح

لها خزائن كرم وجود في سدرة المنتهى ، فإذا قلت لفظا ثانيا ،

فلن تفتح هذه الكنوز .

مثلاً :

لو أن مُفْتاح الباب فيه خلل في سنة واحدة من أسنانه ،
هل سيفتح ؟....لا .

كذلك هذه الأدعية !! .

إذا أبدلت كلمة منها ؛ كأنك غيرت سنةً في المفتاح .
وهذه هي مفاتيح الفتح التي أعطاها له ، وسلمها له الكريم الفتح
وَعَبَّكَ .

وهذا هو الأساس الأول !

والعلامة الأولى من علامات التوفيق !

التي إذا ألهم الله بها العبد ؛ يعلم علم اليقين أن الله وَعَبَّكَ
إختره لسلوك طريق التحقيق .



العلامة الثانية الفقه في الدين

فإذا انتهى من هذه العلامة ، ونجح فيها ، وحفظ هذه الأدعية ، وسار عليها ، ويريد أن يعرف :

هل ربنا مازال يحبه..؟ أم لا ؟

ينتقل للعلامة الثانية :

{ إذا أحب الله عبداً ففقهه في الدين وألهمه رشده }^٥

فيجد عنده الرغبة في الفقه ... فقه الدين ، وليس علم الفقه .

والفقه الحقيقي :

معرفة أحوال رسول الله وصحبه الكرام ، للسير على منوالهم ، والتأسي بأحوالهم ، والتخلق بأخلاقهم ، والمشى على منهاجهم . حتى يفتح الله عليه كما فتح عليهم .

فليس عندهم وقت للمجادلات ، أو المناظرات ، ولكن لكي يعمل ؛ فيبحث عن العلم الذي يفتح له ميادين العمل ، الذي يبلغ به هذا الأمل ، فيكون من أهل الوصال ، ومن أهل

(٥) حلية الأولياء والسنن الكبرى للبيهقي عن عبد الله بن مسعود.

الكمال ، ومن أهل هذا الجمال ، الذي خص به الله عز وجل الحبيب المصطفى والصحب والآل .

﴿ وهذه هي علامات التوفيق ، التي اريد من إخواني -
بارك الله فيهم أجمعين - أن يأخذوها بجد ويقين ، ولا يأخذوها
بتهاون مع النفس ؛ لأنها تستلزم إصراراً وعزيمة ؛ لأنها هي
الأحوال التي كان عليها ، ولا يزال الصالحون أجمعون .

﴿ وكما قلت وبصوت عال ... :

من فيكم عندما يجلس للأكل مع أولاده :
يفتح الأكل بالدعاء الوارد عن الحبيب ؟
ويختم الأكل بالدعاء الوارد عن الحبيب ؟
ويسير معهم في الأكل على النظام الذي كان يسير عليه الحبيب
لكي يتعلموا منه..؟

مع أننا نعملها كل مرة في جميع لقاءاتنا !.

ألسنا نقول :

" بسم الله الشافي المعافي ، بسم الله في أوله وآخره ،
بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء
وهو السميع العليم." !.

لماذا نقول هذا الكلام يا إخواني؟
 لكي تقولوه هناك وتمشوا عليه دائما .!
 متى سنقول هذه الأدعية..؟
 ...عندما نذهب إلى القبور ..!!؟.. أم يوم النشور..!!؟؟
 فنحن لا نمشي خطوة ، أو نذهب إلى أي بيت في أي
 زمان أو مكان ، إلا ونقول :
 " بسم الله ، ماشاء الله ، لا قوة إلا بالله "
 وأنتم جميعاً تسمعون..!!
 لماذا نقول هذا الكلام..؟
 أليس لكي تعملوا..؟ إذن لماذا لا يعمل أحد بهذا..؟!!
 لا أعرف .!!

قد يقول :

أنني أقول في سري ، هذا لا ينفع . لازم الكل يسمع ،
 أسمع البيت ، وأسمع سكان البيت الظاهرين والباطنين .
 ﴿ وهذا هو الأساس الأول الذي عليه أحوال الصالحين
 ، والذي عليه مدار الفتح عند المتقين .

ومن تهاون بهذا :

فنفسه تضحك عليه ، وتلعب به ؛ وليس له سهم في فتح
سيد الأولين والآخرين ﷺ.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



الفصل الثالث

العلم للعمل

- العلم للعمل
- المجالس بالأمانات
- العمل الخالص لله
- تربية الإنسان لنفسه

العلم للعمل^{*}

نظامنا الذي نسير عليه ، وكذلك الصالحون أجمعون ، كانوا وما زالوا يمشون عليه :

أن الدراسة في أكاديمية الصالحين تنقسم إلى قسمين :
جانب نظري أكاديمي في الدروس والمحاضرات ، وجانب عملي في المعمل .

والمعمل يعني :

أن كل واحد يُحضر نفسه فيما بينه ، وبين نفسه وربه ، في معمل نفسه . ويعمل معها الواجب ؛ لكي يطبق هذه الدروس في الناحية العملية .

ولا توجد إفادة ، أو إثابة ، ولا فتح ؛ إلا بعد التطبيق العملي . فلو أن الإنسان حصّل دروساً نظرية - مثل بعض إخواننا الذين معنا منذ ثلاثين سنة - لكنه يحصّل نظري ، ولا يريد أن يفتح معمل أبداً عنده ، ماذا نفعل له ؟

وبالمثال يتضح المقال :

واحد يعمل (حلواني عند جروبي) ، وأخذ دراسات

^(*) كان هذا الدرس بمقر الجمعية العامة للدعوة إلى الله بحدائق المعادي يوم الجمعة ١٠ من يونيو ٢٠٠٥م الموافق ٣ من جمادى الأولى ١٤٢٦هـ.

أكاديمية ويطبخ كل أنواع الحلوى ، والجاتوهات الشرقية والغربية
والهندية والصينية ، وغيره ، ولكن لم يتذوقها أبداً!!.. هل يقدر
على معرفة نكهة أي حلوى من التي يصنعها ؟

لا..! ، متى يدرك نكهتها ؟

عندما يصنعها ، ويتذوقها .

لكن الشرح النظري لا يكفي ، ومبدأ الصالحين في معرفة
الحقائق : " ذق تعرف " ، والذوق لا يكون إلا بعد الممارسة
العملية...!

✿ مثال آخر:

لكي يكون الواحد من الصالحين ؛ لازم يتجمل بجمال
الصالحين ، وجمال الصالحين... هل هو جمال الصورة..؟
لا..، ولكنه جمال الطبع ، وجمال الأخلاق ، وجمال
الأحوال ، وجمال السلوكيات ، .. هذا جمالهم...!

ولكي أدرك هذه الأشياء ، وأصبح معهم :
لا بد من أن أغيّر نمط أخلاقي ، وسلوكياتي ، وحياتي ،
وأجعلها على نمطهم...!!..؛ وإلا سأظل محلك سر !!..
وإن كنت معهم خمسين سنة...!!.. أو ستين سنة...!!.. أو
أكثر.. أو أقل..!.

مثال ثالث :

لكي يكون الواحد منا من الصالحين ، سيباح له أسرار !
وسيكشف له عن أنوار ! ، لا تباح إلا للأخيار ...! متى يباح له
الأسرار ويماط اللثام عن قلبه ليرى الأنوار؟

إذا كان كاتماً للأسرار ... !! ،

وإذا كان هذا الشخص لا يقدر أن يكتف كلمة سمعها من
واحد ...!!... فكيف سيكون كاتماً للأسرار؟

فلو استمع إلى خمسين محاضرة عن كتمان السر وعنوانها
" المجالس بالأمانات " ، .. لكنه لم يطبق هذه المحاضرات
على حياته العملية ! ؛ فسيظل طوال عمره غريبال ..! .

كم يحفظ الغريبال من الماء؟ ..لا شيء...!
فهل يباح لمثل هذا في أي وقت من الأوقات سر من
الأسرار الإلهية؟ ...لا....

لماذا؟

لأنه لم يدرّب نفسه على كتمان الأسرار ؛ وإذا ! لا تباح
له الأسرار.

من الذي سيدربه ؟

هو...!!

لكنني أرى كثير من إخواني ، مثل تلاميذ هذه الأيام :

فالولد عندي ، وعندك ، لا يذاكر ، وكذا البنت .

فإذا قلنا له : يا بني نحن نريد منك الحصول على مجموع عال في الثانوية ، فإنه يقول دبر لي أمهر مدرس في الدروس الخصوصية ، وليس لك شأن ، ولكن هل المدرس سيذاكر بدلاً منه ؟!

✽ كذلك نفس الأمر بالنسبة لأغلب المريدين في هذا الزمان ؛ فهم متخيلون أنهم ما داموا في صحبة فلان من العارفين ؛ فسيصبح كل واحد منهم في يوم من الأيام من أولياء الله المتقين .

ونحن نقول له :

في إمكانك ذلك ، لكن عندما تفتح المعمل الخاص بك .. ، وتدخل فيه نفسك .. ، وتحجمها .. ، وتحددها .. ، ويا حبذا لو تسحقها .. ، وتمحقها .. ، وتجعلها تنبت من جديد .. ، على النهج السديد للنبي الرشيد ﷺ .

✽ فقد تكون معجباً بنفسك ، وترى أنك على ما يرام ، وتريد أن يأتي الخير على ذلك ، بينما ربما يكون حالك في رأي سيد الأنام ، والصالحين الذين في معيته : غير تمام ... !! فكيف يتحقق لك ذلك ؟

✽ على الأقل تكون مثل أولاد الأنصار ... :

السيدة أم سليم - أم أنس بن مالك - كانت لا تنجب ،
فلما حملت بأنس ؛ نذرت إن رزقها الله بـغلام ؛ أن تجعله خادماً
للكعبة ، فولدت أنس .

وعندما بلغ سبع سنين ، وهاجر سيدنا رسول الله ،
ودخلت في الإسلام ((وكانت من الفضليات العظيمات في
الإسلام ومن الصالحات ؛ حتى أن سيدنا رسول الله كان يذهب
ويقبل عندها في بيتها - من إشاره لها ، وهذا يعني أن لها منزلة
عظيمة)) ، فأخذت ابنها أنس ، وقالت يا رسول الله : هذا
أُنيس ، كنت قد وهبته للكعبة ، واليوم أهبه لك . فكان خادماً
لرسول الله .

وفي يوم من الأيام ، وجدت أنساً يلعب ، فنادت عليه :

يا أنس ماذا تفعل؟.. قال:

ألعب ... وأين تذهب؟.. قال:

أرسلني رسول الله ﷺ في أمر...!، قالت:

ما هو...؟ قال...:

ما كنت لأفشي سر رسول الله ﷺ - وهي أمه - فاحتضنته

، والتمتته ، وقالت:

هكذا فكن

وهذا طفل صغير ، فما بالك لو كان رجل وعمره ستين سنة ، أو سبعين سنة ، وماشي معنا منذ ثلاثين سنة ، لكنه لا يستطيع أن يكتم كلمة سمعها من أخيه...!!.. كيف يكون مثل هذا رجل...!!..؟

إنه لم يحصل حتى على منزلة " صبي " في طريق الله
وَعَجَلٌ .



المجالس بالأمانات

ولكي يكون رجلا من الرجال ؛ ستكون أسرار الناس كلها في صدره _ وكما قالوا : " صدور الأحرار قبور الأسرار " - ، ولذلك قالوا : " يموت الولي ، وأسرار الناس معه "؛ لأنه دفنها معه ، ولا يذيعها لأحد ، فكيف يكون في هذه المهمة والذي يسمعه من هذا يقوله لهذا !! ؟

أين المجالس بالأمانات..؟

فالذي لا يريد أن يدرّب نفسه عليها ؛ لا ينفع في طريق
الله وَعَجَلٌ .

✽ فبداية روضات الصالحين :

أن الطفل فيها يتعلم أن المجالس بالأمانات ، المجلس الذي يجلسه أمانة ، فإذا حدّث أحداً بما دار في المجلس - بدون إذن أهل المجلس - تكون خيانة ، لأنه لا بد أن يعرف أنهم راضون عن نقل هذا الكلام ، أو غير راضين
لكن غير ذلك لا يُحدّث .

✽ مثلاً ..:

جلست مع صديقك ، وحكى لك عن سر : فلو كنت تريد أن تتوسط ؛ تسأله أولاً : أحكي لفلان ؟.. فمع أنك تسعى في الخير ، تسأله أولاً ؟
كذلك ولو توسّطت ؛ لا تنقل إلا الكلام الذي يسر ، لكن الكلام الذي يضر .. هل ستنقله ؟
لا . لأنك لو فعلت ذلك في هذه الحالة ؛ لا تنفع حكيماً أساساً .

✽ فهذا هو مبدأ الإسلام ، الذي اتفق عليه أهل الإسلام ، وكان عليه المصطفى عليه أفضل الصلاة وأتم السلام .
فأول رتبة يأخذها السالك كاتم للأسرار :

إذا تعرض للاختبار ، ونجح في الاختبار ؛ يعطوه " صالح
للأنوار ، وقابل لتلقي الأسرار " .

﴿ حتى أن الصالحين ، لهم اختبارات عجيبة في هذا
الموضوع ، يقول فيها الإمام أبو العزائم - رضي الله عنه وأرضاه
: -

" قد يُظهر الرجل الصالح بعض أسراره الخاصة للمريد ،
ليمتحنه ... كأسرار بيته وعياله " فإن أذاعها ؛ فلا يؤتمن على
الأسرار العلية !! ، وإن ائتمن عليها ؛ فهو لغيرها آمن ؛ فيباح له
أسرار حضرة الله جلّ في علاه " .

﴿ إذن من الذي سيدرب الأخ على هذا الخلق ؟

هو بذاته !!

يأخذ دورة تطبيقية عملية في حياته في هذا الأمر ،
ويحاسب نفسه .. :

حاسب ضميرك والحظن أسراري

وقف على باب الصفا يا ساري

هم يعطونك محاضرات نظرية ، وأنت تطبّق .

﴿ من الذي يحاسب؟

أنت تحاسب نفسك !

أنت المهندس ، وأنت الميكانيكي ، وأنت المشرف ،
 وأنت المراقب ، وأنت التنظيم والإدارة ، وأنت الجهاز المركزي
 للمحاسبات ، فكل حاجة معك أنت !!..
 فتحاسب نفسك ؛ لكي تصلح لربك وَعَلَيْكُمْ ... يَسْمُونَهُ.. "
 رجل صالح " .

ماذا يعنون بصالح؟

أي صالح للحضرة !.

من الذي يصلحه؟

هو الذي يصلح نفسه .

وهذه الدورة لا بد أن تنزلها بنفسك ، وإن لم تنزلها
 ؟؟..بماذا يفيد كلامي..؟

محاضرات نظرية فقط ..!، وتكون في هذه الحالة ...عالم
 بأحوال الصوفية !.



العمل الخالص لله

ننتقل إلى نقطة أخرى في حديثنا : من أعظم أبواب القرب التي يتقرب منها العبد إلى ربه ، باب :

" فعل الخير مع الناس ، ومع أهل الخير ؛ ابتغاء مرضاة الله " ، وهذا باب عظيم ، ولكن له آفات ، لا ينجو منها إلا من حفظه العزيز الحكيم ﷺ .

كيف..؟

قال الحبيب المصطفى ﷺ :

{ إن المرء ليعمل الخير فيما بينه وبين الله ، فلا يزال الشيطان به حتى يُحَدِّثُ به ، فإذا حَدَّثَ به ؛ حبط عمله }

❁ فالذي يريد أن يكون من رجالات الله :

يحرص أن يكون عمله في طي الكتمان بينه وبين مولاه ، إذا كان عبادة خاصة ، أو إذا كان صدقة ، أو إذا كان برّاً ، أو إذا كان معروفاً ، أو أي خير قدمه لأحد من العالمين ؛ يكون جميعه بينه وبين الله !! .

❁ من الذي سيجاهد النفس على هذا الأمر؟

أنت الذي ستجاهد نفسك .

فالذين سيكونون تحت ظل عرش الرحمن يوم لا ظل إلا ظله ، منهم رجل تصدق بصدقة حتى لا تعلم شماله ما قدمت يمينه ، إذا كانت الشمال لا تعلم ما أنفقت اليمين !، هل سيعلم صاحب الشمال ، وصاحب اليمين ، والصاحب بالجنب ، والسامعون...!!!؟

ولذلك كان الصالحون - ولا يزالون :

يخفون أمور المعروف والبر ، حتى عن أزواجهم !!، ولا يعلمونهن بها ؛ لأن السيدات لا تقدر على الكتمان ؛ فتيح ، وربما تكون الإباحة داخلة في قول الله :

﴿ لَا تُبْطِلُوا صِدْقَتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى ﴾

[الآية (٢٦٤) سورة البقرة]

❁ ولأن الإنسان في رحاب الله :

ال نظرة التي سينظرها لأخيه ؛ يعطيه الله عليها أجراً .

الكلمة الطيبة ؛ يعطيه الله عليها أجراً .

إذا أطعمه لقمة حلواء :

{ من أطعم أخاه لقمة حلواء ؛ وقاه الله شر مرارة
الموقف يوم القيامة }^٧

إذا سقاه كوب عصير أو شاي :

﴿ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ [سورة الإنسان]

﴿ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ﴾

[سورة الكهف]

لا يضيع شيء ، بشرط إذا عملت .. يكون الكشف الذي سجل
فيه العمل ، يُرفع إلى الله :

﴿ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ ﴾ [الآية (١٠) فاطر]

﴿ لكن الذي يحدث مثلاً : أن جماعة من أهل الخير

زاروني :

فتذيع زوجتي لصاحبها ، أو جاريتها ، أو حتى لأختها
الخبر ، وتقول : لقد زارنا أمس فلان وفلان ، وعملت لهم كذا
وكذا ، وذلك قد يضيّع ثواب العمل لي ...!...ولها .

﴿ سأل أحد الحاضرين :

(٧) الترغيب في فضائل الأعمال عن أبي هريرة رضي الله عنه.

وما ذنبي ؟

فأجاب الشيخ :

لأنك لم تعلمها ، لأنك يجب أن تعلمها ، وتقول لها : إذا كنت تريد أن يكون هذا العمل لله ؛ إذن فلا تقولي لأحد .

﴿ استطرد أحد الحاضرين بسؤال آخر :

سيقال إنه كان عنده فلان ، ولم يقل لنا ؟

كان عندي فلان يزورني ، لكن ليس من حقهم أن يسألوا ماذا أكلتموه ..؟ أو شربتموه ..؟.. لأن من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه .

﴿ عندما يسألني سائل ... فلان كان عندك ؟ أقول :

نعم ... ، فيم تكلمتم ؟.. أقول له :

هذا ليس من شأنك "من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه" . وعندما يعلم الناس عني ذلك ، لن يسألوا مرة ثانية .

﴿ فيجب أن نعلم الناس هذه السلوكيات .

سأخاف وأستحي من الناس ؛ ضاع الدين كما نرى الآن ، ضاع الدين بسبب الحياء والجهل ، لا يعلمهم أحد ، ونحن نستحي أن نوجههم .

مع أن كل حركة ، أو سكونة في حياتك ، تستطيع أن تجعلها عبادة لربك ، على أن تكون عملاً خالصاً بينك وبين الله .

❁ فسيدنا علي زين العابدين - ابن الإمام الحسين رضي الله عنهما - وكانوا يسمونه "السجّاد" ، وكان من أثرياء المدينة ومن المرفّهين .

لما مات ؛ وهم يُغسلونه ؛ وجدوا أن ظهره مصاب "بكلّو" كأنه يعمل عتال ، وهو رجل من المرفّهين ، وعنده خدم ؛ فتعجبوا من هذه الإصابة في ظهره ، وما الذي أصابه بها ؟

وبعد شهر ، فوجئوا بثلاثين عائلة في المدينة ؛ وقد انكشفوا ، وأصبحوا لا يجدون الكفاف ، فسألوهم : كيف كنتم تعيشون قبل ذلك ؟.. فقالوا كلهم :

كنا مع مطلع الهلال ، كان يحضر شخص لا نعرفه ، يحمل جوال دقيق على ظهره ، ووعاء سمن في يد ، وصرّة فيها دنانير في اليد الأخرى ، ويطرق الباب فنخرج لاستقباله ؛ فنجد المؤنة على الباب ، ولا نجد هذا الشخص .

أخذ يكفل هذه الثلاثين أسرة ، ولا يعلم به أحد إلا الواحد الأحد ، لا زوجة ، ولا خادم ، ولا بنت ، ولا ولد .

وذلك لأنه سمع النبي يقول :

{ صدقة السر تفضل صدقة العلانية بسبعين ضعف }^٨

لم يقل بسبعين مرة ، ولكن سبعين ضعف ، ويضاعف الله لمن يشاء :

﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾

[آية ٥، سورة البينة].



تربية الإنسان لنفسه

من الذي سيربّي الإنسان على مثل هذه الخصال ؟

هل المحاضرات النظرية الأكاديمية التي نحن فيها الآن ؟

أم الميدان العملي ؟

﴿ والميدان العملي .، الإنسان مسئول عنه ، وكذلك

مسئول عن حوله ، لازم ينبه عليهم ؛ لأن السيدات ضعيفات

(٨) رواه البيهقي عن عبد الله .

في مثل هذه الأمور ، وتكشف المستور... يقول لها : إذا كنت تريد أن تكوني من أهل الصفا والنور ، وفي معية العزيز الغفور ، فيجب أن تسيري مثل النساء المؤمنات ، القانتات ، التائبات ، العابدات..

ما أوصافهن؟

أنا لا أسمع ! ، أنا لا أنظر ! ، أنا لا أتكلم !.

فيم..؟

في أي خير تراه ، أو تعمله لعباد الله ، لا تريد أن تسمع حسن ثناء عليه ، ولا تضعه أمام عينيها ، ولا تحكي لمن حولها - حتى ولو كان أعز الناس عليها - .

والإسلام أعطانا درسا عمليا عظيما في هذا الأمر ، فإذا كانت الأمور العادية التي بين الرجل وزوجته .. أمرَ ألا يفشيها أحد لأحد :

{ إن شر الناس منزلة عند الله يوم القيامة ؛ الرجل يفضي إلى زوجته ، وتفضي إليه ؛ فيصبح فينشر سرها ، وتنشر سره }^٩

(٩) رواه مسلم ، عن أبي سعيد الخدرى .

حتى البنت لأمها. ولازم أربي ابنتي على ذلك من البداية ؛
أقول لها :

إياك أن تقول لأمك حصل ! أو لم يحصل ! .

وكذلك أقول لأمها :

إياكي أن تسأليني .،. إلا إذا كان هناك مشكلة ؛ تتدخل
لكي تحل المشكلة فقط...!.

ولما وصى النبي النساء ؛ فواحدة من البنات قالت : يا
رسول الله، إنهن ليقلن ! .

فقال ﷺ فيما معناه :

"من يقل ذلك ، فكأنهما شيطان وشيطانة ، فعلا ذلك
على قارعة الطريق ، والناس يشهدون ". فإذا كان ذلك في الأمور
العادية فما بالكم في الأمور الإلهية .

من يريد أن تكون له منزلة عند رب البرية... ماذا
يفعل؟

يجب أن يكون ما بينه وبين مولاه ؛ لا يعلمه إلا الله...!!.
إذا كانت شمالك ؛ يجب ألا تعرف ما أنفقت يمينك ، فكيف
يعرف غيرك ؟

❁ فالذي يريد أن يكون من أهل الإخلاص ، ويستودعه
الله حقائق الإخلاص :

يجب أن يدرب نفسه على أفعال الخواص . وكل عمل
يسديه إلى الناس ، أو يرفعه إلى الله ؛ فلا يعلمه إلا حضرة الله -
حتى ولو كان كوباً من الشاي - .

لماذا يقول ؟ ولماذا نقول :.. فلان زارنا اليوم !

لازم نقطع ألسنتنا ، وألسنة نساءنا ؛ عن ماذا أكلته ؟ أو
ماذا شربته ؟

لأن هذا كلام لا يليق وليس من أدب الإسلام .

ولنفرض أنني عندي حاجة على قدرتي في هذا اليوم ، ولا
أستطيع أن أبوح بها ، وسوف تضطر أن تكذب ! فترتكب إثماً
كبيراً .

هذه أسرار ..!.. لازم يتعلم عليها الصغار ، و الكبار ..

السيدات من طبعهن أن يستدرجن الأطفال .. :

تعال يا ولد ..!.. من كان عندكم اليوم ..؟

يقول :

كان عندنا فلان وفلان ..،.. تقول :

ماذا أكلته أمك ؟

وهذا من الفضول .

ومن أراد الوصول فعليه بترك الفضول ، فمن لا يربي نفسه على ترك الفضول ؛ لا يطمع في الوصول .
مثلاً :

رأى اثنين يتكلمان مع بعضهما ... من الفضول : أنه يريد أن يعرف فيما يتكلمان ؟ .. ويلف ، ويدور ؛ ليعرف الخبر ... ! ، ولماذا أعرف ؟

السالك في طريق الله يجب أن يبني نفسه على هذه الشاكلة :

يرى أحوال الصالحين ، ويمشي عليها .

فقد قرأت - وذلك على سبيل المثال وليس على سبيل التباهي - أن سيدنا سعيد بن المسيّب - رضي الله عنه وأرضاه - صلى في مسجد رسول الله أربعين سنة ، كان لا يعلم في هذه السنين من على يمينه ولا من على شماله .

فكنت أطبق هذا النهج :

كنت أذهب لصلاة الجمعة ؛ وأحاول مع نفسي أن لا أعرف من على اليمين ولا من على الشمال ؛ وأقصد أن لا أخرج من المسجد إلا بعد خروجهم ...

طبعاً في الأول ، كانت عيني تريد أن تلتفت ، وتريد أذني أن تسمع ، فهذا هو الجهاد.

﴿ سأل أحد الحاضرين :

لقد سمعت قريباً ، أن صلاة الجمعة بالذات غير محتاجة أن الواحد يصلي ويخرج من المسجد ، ولكنها محتاجة إلى أن يمكث الواحد ليصافح إخوانه ؟

طبعاً !. لكن الحالة التي أحكي عنها :

للنقاء والصفاء ، من أجل الجمال والبهاء ، لا يريد أن يشتغل بالخلق ، هذه مرحلة أخرى إنه يدرّب نفسه .
لكننا الآن ؛ لازم نصافح ، ونتكلم ، ونبتسم ، لكي نأخذ الأجور .

لكن الأخرى ؛ كانت مرحلة عندما يقرأ الواحد عن حالة من حالات الصالحين ؛ يحاول أن ينفذها .

﴿ أين ينفذها؟

في المعمل ، مع نفسه ...!!
والمعمل ممكن في الجامع !!... ، ممكن في السوق ..!! ،
ممكن في الشارع ..!!... ، ممكن في العمل ..!!... ، ممكن في البيت ..!!..

المهم أن ينفذها !!!!

✿ لكن إلى متى نسمع نظري؟

العلم يهتف بالعمل ... فاعمل تنل كل الأمل

لازم ندخل ميدان العمل...!!

✿ من سيدخلك؟

أنت...!!

✿ من الذي سيهذب نفسك؟

أنت...!!

✿ من الذي سيرقيها؟

أنت...!!

✿ أما نحن فنوجّه ، ونساعد ، ونعين .

لكن عليك أن تبدأ .

لكنك نائم ومعتمد أنك عند مدرس شاطر ، ومعتقد أنك

ستحصل على ٩٩% في الثانوية ، بدون أن تذاكر أو تفتح

كتاب ، هل ينفع ذلك؟

لا...!!!

لازم تدخل الميدان ...!!...

وتفتح المختبر ...!!..

وتجاهد النفس...!!.. ، .

وهذا ما أريد أن أقوله لكي ننال ما نتمنى .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.



الفصل الرابع

أسرار الحُسنى السابقة

- طيبُ الحبيب
- حقيقة القيام لرسول الله ﷺ
- سر معرفة الله
- الدرّة النورانية
- جزاء الإحسان
- الذكرى تنفع المؤمنين
- ألفة القلوب
- مشاهد الأصفياء
- جهاد العارفين

طيب الحبيب^{*}

الحقيقة أنه عندما تسمع القلوب أي شيء عن الحبيب
تطيب ، تطيب من الهموم ، والغموم ، ومن المشاكل .

هل منا من يتذكر هذه الأشياء الآن؟

كلا..!

لأنه عندما تأتي سيرة رسول الله :

ربنا سبحانه وتعالى يُذهِبُ كل هم ، وغم ، وكرب ،
وضنك ، وسوء ، عن القلب المشغول بحبيب الله ومصطفاه

صلى الله
عليه
وسلم .

وتقريباً للحقيقة :

الإنسان خلقه الله وَعَجَّلَ ذائقاً للجمال ، وراغباً في

الكمال .

وكلما رأى الإنسان جمالاً رغب فيما هو أجمل .

إن كان الجمال في المنظر ؛ إن كانت مناظر بشرية ، أو مناظر
طبيعية .

(*) كانت هذه المحاضرة يوم الجمعة ٢ من جمادى الآخرة ١٤٢٦ هـ الموافق ٨ من يوليو ٢٠٠٥ م بمقر الجمعية العامة للدعوة إلى الله بحدائق المعادى بالقاهرة بعد صلاة الجمعة.

أو كان الجمال في الشئون ؛ في مسكن ، أو سيارة .
 أو كان الجمال في ما تشتهيهِ الأنفُس ، من مآكل ، أو مشارب
 ، أو مفارش ، أو مناكح ..!!
 كل هذا تشتهيهِ الأنفُس .

﴿ ﴾ لكن إذا لاح للأرواح جمال حبيب حضرة الفتح :

فإن الإنسان لا يتمنى ، ولا يشتهي شيئاً في الدنيا ، ولا
 الآخرة ، ولا الجنة ، سواه ...!!!
 لأنه لا يوجد أكمل ، ولا أجمل ، إن كان في الدنيا ، أو
 الآخرة ، أو حتى الجنة ..: من جمال رسول الله الروحاني
 النوراني .

وليس الجمال الجسدي ؛ لأن الجمال الجسدي فإن .
 ولكن الجمال النوراني ، والجمال القدسي ؛ الذي لمعه ربنا
 ﷺ بجمال ذاته ، وأفاء عليه من تنزل كمالاته وجمالاته ﷺ
 ، ورؤية هذا الجمال هو ما يؤدي ببعض الناس أن تتعجب من
 أقوام لا تشغلهم الدنيا بجميع مشتبهاتها التي ذكرناها ؛ ويقولون
 :

لماذا لا تشغلهم هذه المشتبهات ، والمطارف ؟

لأنهم رأوا بقلوبهم ، وبأرواحهم : الأنعم ، والأبهى ،
 والأجمل ، والأكمل ، والأعظم !!
 فلماذا يلتفتون لغيره ؟
 بعد أن رأوا هذه الطلعة البهية ...!!!، والحضرة النورانية
!!... للمصطفى ﷺ.



حقيقة القيام لرسول الله ﷺ

إذا كان الجمال الذي يقول فيه سيدنا حسان بن ثابت
 رضي الله عنه وأرضاه:

قيامي للحبيب عليّ فرضٌ

وترك الفرض ما هو مستقيم

عجبت لمن له عقلٌ وفهمٌ

يرى هذا الجمال ولا يقوم

وطبعاً بعض الناس الذين على قدرهم ؛ قالوا :

يقوم يعني يقوم له واقفاً !! ..

وكيف يتم هذا الوقوف الآن؟

﴿ ولكن حقيقتها :

يقوم لخدمته ، ويسعى لنصرته ، ويمشي لتأييد شريعته ،
ويذوب عن ناسوته وبشريته ، شغلاً بحضرتة ﷺ .

وليس القيام أن يقف كما قالوا ؛ لأن سيدنا رسول الله
نفسه لا يريد هذا ، لكن يريد من يقوم بخدمته - وليس خدمته
هو - ولكن خدمة الشريعة .

وهذا أمر سيدنا رسول الله ، وسدنة الشريعة الأماناء في كل
زمان ومكان .

وهذا ما جعل الصالحين دائماً منشغلين بال ، ودائماً
مشغولين قلباً وقالباً ، بالحبيب الأعظم ﷺ .

ولكننا جميعاً - والحمد لله - وكل مؤمن عند سماعه
لسيرة الحبيب ؛ يحن قلبه ، ويهيم فؤاده ، ويشتاق على الأقل
لزيارته ، إن لم يكن سيشتاق لرؤياه .

﴿ وهذه هي البشرية التي يطمأننا بها ربنا ﷻ .

وما دام الإنسان يحنُّ عند سماعه لسيرة حضرة النبي ،
ويريد أن يزوره ، ويريد أن يراه ، ويحنُّ له : هنا لا بد أن يتيقن
أن له سابقة عناية من الله ، ويتأكد أنه من الجماعة الداخلين في
قول الله :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَىٰ أُولَٰئِكَ

عَنَّا مُبْعَدُونَ ﴾ [سورة الأنبياء]

لماذا؟

لأن رسول الله هو الذي أذاع هذه الحقيقة ، وأبان هذا
الأمر ؛ عندما حكى عن ربه **عَجَّلَ** في الحديث القدسي :
((كنت كنزاً مخفياً؛ فأحببت أن أعرف ؛ فخلقت الخلق
ليعرفوني)) .

المعرفة هنا ؛ دائرة مع المحبة .



سر معرفة الله

﴿ من الذي يعرف ربنا ﴾

الذي أحبه الله ﷺ " أحببت أن أعرف " ؛ فالذي
أحبه الله ؛ يعرفه بحضرتة ..

كيف سيعرفه؟

عن طريق رسول الله ..

هل هناك من يعرف الله بدون رسول الله؟

لا..!!

فكون الإنسان عرف الله ؛ فهذا دليل على محبة الله ﷺ

له ، لأن الله عرفه بذاته وعرفه بسيد كائناته ﷺ .

وقد بين سيدنا رسول الله الدليل الذي لا يحتاج الإنسان

بعده لأي سند أو دليل فقال ﷺ :

{ إن الله خلق الخلق في ظلمة ، ثم رشّ عليهم من نوره

- ونوره يعني نور رسول الله ﷺ - فمن أصابه ذلك النور -

اسمعوا وعوا - وفق ، واهتدى . ومن لم يصبه ذلك النور ؛ ضلَّ وغوى { ١٠

وهذا حديث صحيح ؛ رواه الإمام البخاري ، والإمام مسلم ، وموجود في كتب الصحاح : " إن الله خلق الخلق " ، كلهم ... في ظلمة .!!! ، ومن أراد أن يعرفه به ، ماذا فعل له ؟ رش عليه من نور حبيبه ومصطفاه ..". ثم رش عليهم من نوره " ... على من ؟ على الأحاب .

" فمن أصابه ذلك النور " : يكون هذا المراد ، والمطلوب ، وفق ، واهتدى .

" ومن لم يصبه ذلك النور ضل وغوى " : حتى ولو علم علوم الأولين والآخرين ، وحتى ولو كان من الأساتذة الكبار في المعاهد العلمية الأوروبية أو الأمريكية ، مثل المستشرقين الذين درسوا الدين الإسلامي ، لكن هل سيهتدي أحدهم؟ لا ، إلا من سبقت له من الله العناية !.

لأنه درس ، ولكنه لم يرث ، فالذي ورث ... هو من أخذ ذرة من نور المحبة ، وظهرت عليه أنوار الأجابة ، بعد طلاوته من نور رسول الله ﷺ .

فقد أخذنا هذا بفضل الله ، وبكرم الله ، وبمحض عطاء من الله جلّ في علاه .

﴿ وذلك عندما نسمع ؛ نَحْنُ ... إلى ماذا نَحْنُ ؟ ﴾

نَحْنُ للأصل ، مثلما يرى الواحد منا في الدنيا شخصاً ، ويجالسه ...،... وتمر على هذه الحادثة سبع سنين مثلاً ، ويرجع بعد هذه السنين يقابله ، فبمجرد أن تصوب عليه الكاميرات الإلهية _ فوراً - تعطي صورة للذاكرة الربانية ؛ فيقول له : لقد رأيتك قبل ذلك !! ... أين..؟! لا أعرف !..

ثم بعد ذلك يتذكر ، ويقول له : لقد رأيتك في المكان الفلاني ، يوم كذا ، وقد قلت لك كذا ، وقلت لي كذا !.

ألا يحدث ذلك؟

وهذا الكلام في الدنيا ، وهذا بالنسبة لنا أجمعين ، وللناس جميعاً ، أي إنسان إن كان مؤمناً أو غير مؤمن ، مهتدي ، أو ضال .

لكن بالنسبة للمؤمنين ، والموحّدين ، والموقنين ، والمحسنين ، لقد رأى هؤلاء مشاهد عالية في الحضرة التي حكاها لنا رسول الله ﷺ .. " ثم رش عليهم من نوره " :

رأينا فيها مشاهداً روحانية ..!!..

حيث كانت الأرواح هي الموجودة فقط...!!... ولم تكن
الأجسام...!!...، ولا النفس...!!...
مشاهد أروحانية.



الدُّرَّةُ النُّورَانِيَّةُ

وهذه المشاهد علقت ، ثم تنزل إلى القلوب في حالة
الصفاء ، فتجعل الإنسان يحنُّ دائماً لمراتع الصفاء هذه .

والتي يقول فيها سيدي إبراهيم الدسوقي رضي الله عنه:

على الدُّرَّةِ البيضاء كان اجتماعنا

وفي قاب قوسين اجتماع الأحبة

❖ كنا مجموعين هناك على " الدرَّةِ البيضاء " ...

وهي الدرَّةُ النُّورَانِيَّةُ ، قبل خلق الطين ، وقبل خلق

الأفلاك ، وقبل خلق الأملاك ، كانت هناك درة نورانية أشار إليها

النبي فقال : " قبضت قبضة من نوري " ... هذه هي الدرّة ..
" وقلت لها كوني محمداً .. "

﴿ وهذه القبضة ... ليست كقبضتنا هذه...!!.. ﴾

حاشا لله عن هذه القبضة ، كلمة " قبضة " : يعني مجمع ؛ يعني جمعت مجعماً من نوري !!... جميع أنواري ، وجميع أسراري ، وقلت لها كوني محمداً .

يعني فيه جميع جمالات الله ، وجميع كمالات الله وجميع أسرار الله ؛ لأنه قبضة الله الجامعة الشاملة لجميع عطاءات الله جلّ في علاه .

فاجتمعنا جميعاً ، ورأينا هذه الأشياء ، وسمعنا ، ولكن بالسمع الروحاني ، للأسرار التي أذاعتها إذاعة الحق ، ونحن في رحاب الحق ، منظورين بنظرات سيد الخلق ..!

﴿ ويتكلم الإمام أبو العزائم في هذا الموضوع ويقول:

من ألت لم ننسَ ما قد شهدنا

من جمال الجميل إذ خاطبنا

لم ننسَ هذه المشاهد ، ولا الخطاب الذي سمعناه في

هذا الموقف...:

كيف أنساك يا جميل وأنت

سر مجلى الأسماء عرش المعنى

هذه معاني راقية ، وعالية ، وقد عشنا فيها .

﴿ ولذلك كلمة الإيمان ماذا تعني؟ ﴾

يعرفوها - باللغة - بالتصديق ... التصديق .. بماذا ؟

بما سمعه ، ورآه الإنسان من قبل ، وذُكر به في هذه

الحياة الدنيا ..! عندما يُذكَر ..! يُذكَر ...! ثم يصدق .

والذي لم يعيش هذه المشاهد العالية هناك ، مهما قال له

القائلون ..! هل يُصدَّق ..؟

لا!! لأنه لم يعيش في عالم المعاني هذه .

﴿ وهؤلاء هم الجماعة الكافرون - والعياذ بالله - لأنه

عايش في المحسوسات ، وكل هذه الأحاديث معنويات ! ،

كمالات إلهية ! ، ولكنه يريد أن يحضّر الكمالات الإلهية في

المعمل !!؟ ، لأنه لم يعيشها ولم يرها قبل ذلك .

جماليات محمدية ، يريد أن يراها على شاشة التلفاز ،

ويحس بها ، ولا يعرف التلفاز القلبي ..!! ولا يدركه ..!! ولا يقدر

أن يستورد ، أو يصنع جهازاً منه ..!!

وهذا مخصوص لمخصوصين ! ، كل واحد فينا يستطيع
 أن يشتري جهاز توشيبا أو ناشيونال أو غيره ؟
 لكن من منا يستطيع أن يشتري جهاز يشاهد هذه القنوات
 الربانية العالية ؟ ...!! أين يباع...!!؟
 ولكنه مخصوص لمخصوصين ، هدايا ، وعطايا ، لا يباع ،
 ولا يشتري ...!! بماذا يشتريه؟
 هذا هدية ، وعطية ، ...لمن..؟
 لأهل الاجتباء ، وأهل الإصطفاء ، الذين أحسنوا ؛ فأجمل
 الله ^{عَلَيْكَ} لَهُم الهدية ، والأجر العظيم ، والعطاء.



جزاء الإحسان

﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾ ﴿٦٠﴾

[الآية (٦٠) الرحمن]

والإحسان هنا يعني مقام الإحسان ...!

لكن هل الإحسان ؛ يعني يوزع عليهم فلوس ؟ أو أكل

وشرب ؟

﴿ جزاء الإحسان يعني :

نُزِّلُ الْإِحْسَانَ ، مشاهد الإحسان ، مقامات الإحسان ،

أليس هذا جزاءاً ؟ أم يكون جزاءاً حسيماً ؟

لا ينفع ، لقول الله تعالى :

﴿ وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا ﴾

[الآية (٨٦) النساء]

وهذا لنا نحن ، فما بالكم مع الله ، ماذا يكون....؟

فعندما أحسن عملي ؛ يكون جزائي مشاهد الإحسان ،

ومنازل الإحسان ، وخزن الإحسان .

وهذه خزن في القرآن ، وفي سدره النبي العدنان ﷺ ،
لمن بلغوا مقام القرب والتدان .

﴿ ولذلك لما ربنا يتكلم عن الجماعة الذين آمنوا :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ
عَلَيْهِمْ - هنا في الدنيا - تَحْرُونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٧﴾ ﴾

[سورة الاسراء]

لأنهم سمعوا قبل ذلك هناك ، والذي لم يسمع هناك ؟
من الذي يقدر أن يسمعه هنا..؟

لا أحد ... لازم يكون سمع من هناك في عالم الأزل ،
وهذا هو سر سابقة الحسنی :

سبقت لهم الحسنی هناك ، فسمع ، ورأى ، فلما يسمع
هنا ...!...! يكون تكراراً لما رآه وسمعه هناك .

﴿ ولذلك لما كلف حضرة النبي ماذا قال له؟

وذلكَ ر...!

يعني حاجة أخذوها قبل ذلك !

فذكّر ، وراجع معهم أنت هنا ، فالدروس أخذوها هناك ،

وأنت تراجع هذه الدروس...! ... أليس كذلك ؟

فإنها مراجعة فقط ...!!..

لكن الدروس قيلت قبل ذلك ، وأخذوها في عالم الأزل ،
لكن الذي لم يأخذ هذه الدروس ..؟!
هل يقدر أحد ، أن يراجعها معه هنا ؟
لا يهضمها...!!.

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴾ [الغاشية]

تذكر بالذي كان هناك ..

﴿ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ ﴾

أوتوا ؛ يعني بالفضل ... وليس بالتعليم..

﴿ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ - هُنَا فِي الدُّنْيَا -

سُحَّرُونَ لِلَّذِينَ سَجِدًا ﴿١٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ

رَبِّنَا إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٨﴾ وَسُحَّرُونَ

لِلَّذِينَ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿١٩﴾

[سورة الإسراء]

إذا الخشوع موجود قبل ذلك ، لكن يزيد الخشوع .



الذكرى تنفع المؤمنين

وهكذا عطاءات الله ، وهذا هو حال المؤمنين .

﴿ لكن هل هناك من أحد يستطيع أن يعلم من

البداية... من لا يوجد له التعليم من هناك ؟

لا..

لأننا في الدنيا ، نراجع مع بعض الدروس ، نذكّر بعضا ،

لأن الواحد فينا عندما ينزل إلى الدنيا ينسى ، أو تفتّر عزيمته ،

نتيجة الانشغال بالشهوات ، والحظوظ ، والأهواء ، والملذات .

﴿ لأننا كلنا كنا في جنة آدم ، لما آدم هبط إلى

الأرض ماذا حدث ؟ لماذا نزل ؟

ذكر الله السبب وقال :

﴿ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ [الآية (١١٥) طه]

ما سبب نزوله؟

نسي الذي أخذه قبل ذلك .

﴿ ولماذا ضعفت عزيمته ؟

انشغل بمظاهر الجنة ، الثمار في الجنة ، والأطيار ،
والملائكة ، وغير ذلك فانشغل .

وهي نفس الحكاية بالنسبة لك ، ولي ، لقد كنا في الجنة
العالية هناك ، جنة المعاني ، وجنة الحقائق ، وجنة الأرواح ،
وجنة اللطائف .

﴿ عندما يأتي الواحد إلى الدنيا ، إذا لم يكن يجالس
المذكّرين ؛ سينسى إذا انشغل بالمظاهر ، والمطارف ،
والشهوات ، والحظوظ ، والمباني ، والمغاني ، والمسكن ،
.... كذلك سيضعف وينطبق عليه نفس الحكاية...!! ﴾

﴿ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا ﴾ ﴿ ١١٥ ﴾

نفس المرض ، فالبعد ، أو الغفلة ، أو القسوة ! ز
ما سبب هذا كله؟

نسي ، ولم نجد له عزمًا ، أي أسباب أخرى كلها
تنطوي تحت هذه الأسباب .

﴿ ما هو علاج النسيان؟ ﴾

فذكر .

ولذلك كنز المذكرين هو ﷺ ؛ مذكر ، وكذلك الورثة من بعده مذكرون .

هل أحد من الورثة معه حاجة جديدة؟

أبداً ، ولكنه يذكر ، ولذلك عندما تسمع... يرتاح لهذا السماع قلبك ، ويحن له فؤادك .

وإذا واحد لم يسمع هذه الحقائق ؛ فلا يقبلها ، وعندما ترى واحداً كان معك هناك في الفصل ، ويمكن أن تكون تراه لأول مرة ، فتقول لنفسك ولمن حولك ، لقد رأيت هذا الرجل قبل ذلك.... ولكن لا أعرف أين؟..ومتى...؟

على الرغم من أنه لم يحدث لقاء في الدنيا... إذاً أين كان اللقاء؟

كان اللقاء هناك ، ولكن ذكرت به هنا ، لأنك في حالة الصفاء ، وقد قال في ذلك سيدنا رسول الله :

{ الأرواح جنود مجندة ، ما تعارف منها . }^١ .
أين ؟ هناك { إنتلف } هنا ، ويريدون أن يكونوا مع بعض ولا يفارقون بعضهم.....توجد بينهم ألفة !!

ومن أين تأتي هذه الألفة؟

(١١) المستدرک علی الصحیحین للحاکم عن سلمان الفارسی.

﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنِهِمْ ﴾ [آية (٦٣) الأنفال]

من الله ؛ أي ليس من هنا ؛ ولكن من هناك .



ألفة القلوب

وهل يقدر واحد أن يؤلف بين اثنين هنا؟

أين هو؟

حتى لو ألفت بينهم ..!

المصالح كذلك تنفرهم من بعضهم ...

المصالح...!!!!

لكننا نتكلم عن الألفة التي ستدوم ، لازم تكون من الحي

القيوم ، من هناك .

ولكن الله ألف بينهم ، لو أنفقت ما في الأرض جميعا

...لكي تعطيه لهم كذلك؟... ما ألفت بين قلوبهم !! ، ستؤلف

بين الأجساد ، ولكننا نتكلم عن ألفة القلوب ..!

لأن المصالح هي التي تؤلف بين الناس ، فيشتركون في
تجارة ، أو يشتركون في زراعة ،... هذه ألفة المصالح ، لكن
الذي يتكلم عليه حضرة الله " ألفة القلوب " ، وهذه من هناك

﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ ﴾ [الأنفال ، ٦٣]

﴿ ﴾ عندما يرى الإنسان واحداً ما ، يقول لقد رأيت فلان
هذا ... متى...!!..؟..وهذه أمور يحتار فيها الإنسان .

لكن عندما يرجع لسيدنا رسول الله ، يعرف أن هذه الألفة
حدثت قبل القبل ، فعندما يحضرون إلى هنا فالأرواح تعارفت ،
وكان دائما ما يحدث هذا بين الصالحين وبين المريدين ،
فيعرفون بعضهم فوراً من غير حاجة ؛ وهذا من باب الألفة
السابقة ، { وما تناكر منها اختلف } فيحاول أن يتقرب ،
ويتودد إليه ، بكل الطرق ..!!بلا جدوى..!!

﴿ ﴾ لماذا؟

لأن الحالة سابقة !!، هل هناك أحد من الأولين ،
والآخرين ، يقدر يعمل عملية...تصلح هذه الأحوال ؟

مستحيل !

﴿ ﴾ سيدنا أويس - رضي الله عنه وأرضاه - :

عندما سمع عنه واحد من أصحاب رسول الله ﷺ - وهو هرم بن سنان - فأخذ يبحث عنه .

وفي يوم من الأيام ، وهو يسير على شاطئ دجلة ، وكان سيدنا أويس قاعد على النهر يتوضأ ، فقال لسيدنا أويس :

السلام عليكم

فرد عليه قائلاً : وعليك السلام يا هرم بن سنان..!

فقال : كيف عرفتنني؟ قال:

عرفت روحي روحك ، فعرفت اسمك !! . لأن الروح تعرف الروح من هناك..، قال له :

هل أنت أويس القرني؟ قال :

نعم .

❖ وكذلك الرجل الصالح ، الذي رأى في المنام أنه سيتزوج امرأة ما - وكان اسمه الشيخ عبدالواحد بن زيد من التابعين - سيتزوج امرأة - اسمها ميمونة المجنونة - فأخذ يبحث عنها ، فقالوا له : إنها مجنونة في صحراء البصرة .

فضل يبحث عنها ، إلى أن وجدها واضعة عكازها في القبلة ، وتصلي - والذئاب في وسط الغنم ولا تؤذيها - وبعد أن فرغت من الصلاة ، قالت له : ما الذي جاء بك يا عبدالواحد ؟ فقال : كيف عرفتيني ؟ قالت :

عرفت روحي روحك ، فأراد أن يكلمها ، فقالت :
ليس هنا ولكن في الجنة !. الزواج في الجنة..!
من أين هذا يا إخواني؟

من عالم الحقائق ، والتي سمعناها ، ورأيناها :

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو
الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴾ [الآية (١٨) آل عمران]

شهدوا هذه الحالة ، شهدوا الوجدانية ، وحيطة القيومية ، وظهر أنوار الصمدانية ، في هذه العوالم الخفية ، قبل النزول إلى الحياة الكونية ، وقبل نزول الأرواح في هذه الأجساد الآدمية.



مشاهد الأصفياء

فعندما ينزل الإنسان هنا ، يتذكر هذه المشاهد ، ويعيش في رحابها ، ويتهنى بمشاهدها ، ويتمنى بالشوق والحنين أن يرجع لها ثانية .

﴿ ﴾ ولذلك ربنا عندما يذكرنا في القرآن ، يقول :

﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ أَلْرُّجَىٰ ﴾ [الآية (٨) العلق]

سترجع ثاني ، وعندما ترجع ثانية لعالم الحقائق بشرط :

أن تتجرد من الجسم وأنت فيه !! ، وتتجرد من النفس وشهواتها وأهوائها وهي معك !! ، فترجع لهذه الحالة من الصفاء!.... فترجع لما كنت فيه

﴿ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ أَلْرُّجَىٰ ﴾ ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّفْسُ

الْمُطْمَئِنَّةُ ﴾ ﴿ أَرْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكَ ﴾

أي أرجع ثاني للطريق الذي أتيت منه ، أليس كذلك ؟

﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴾ ﴿٢٨﴾

﴿ أين تذهب إذا ؟ ﴾

﴿ فَأَدْخُلِي فِي عِبَادِي ﴾ ﴿٢٦﴾ ﴿ وَأَدْخُلِي جَنَّتِي ﴾ ﴿٢٣﴾

[سورة الفجر]

فهذه مشاهد الجنات ، ومشاهد العباد التي كنت تعيشها
هناك ، ومتى هذا؟

عندما ترجع لهذا الطريق مرة أخرى ..!

﴿ كل الموضوع أنه يريد الرجوع إلى الحال ،
والمشاهد التي كان الإنسان فيها قبل خلق الخلق ، وقبل القبل ،
عندما كنا في حيطه الواحد الأحد الفرد الصمد ، قبل خلق المال
والأهل والولد ، وانشغالنا بالبلد ، وما بداخل البلد ، ومشغل
البلد ، ومشاكل البلد ، وهذا ما شغلنا .

فإذا رجع الإنسان للواحد الأحد ، انتهى الأمر ؛ ويشهد ما
قد شهده من المشاهد الأولى ، وهي :

﴿ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ ﴾ ﴿١٠٤﴾ [الأنبياء]

فتكون هذه هي الإعادة إن شاء الله رب العالمين .



جهاد العارفين

فهذه يا إخواني أحوال الصالحين ، لكن كل الموضوع ؛
إنك ترجع تاني للهنا الذي كنت فيه ..!

كيف ؟

حاول تخفف وطأة الجسم ، وطلباته ، وشهواته ، وعتوه
على الروح ، وظلمة النفس ، وجبروتها ، وطاقوتها .

وإذا فعلت ذلك ؛ سيظهر صفاء القلب ، ويظهر جمال
الروح ، وترجع ثانية للفتوح ، ولمشاهد حضرة السبوح **عَلَيْكَ** .

وكل جهاد العارفين والصالحين في الرجوع لهذه الأحوال

كيف؟

كن كما كنت طيناً أو منياً ... أو طفيلاً في أول الأدوار

ولذلك عندما يولد الإنسان ، وقبل أن تنزل ستارة الحس ،
فهو يعيش في هذه المشاهد ، قبل أن يعرف أن هذا أبوه ،
وهذه أمه ، ويعرف من حوله . يكون في هذه المشاهد ، ويرى

الملائكة ، والملكوت ، وعندما تنزل ستارة الحس ، ويميز بين أبيه وأمه وجدده ، يحجب عن هذه المشاهد ، لأنه بدأ ينشغل بالأكل والشرب .

لأنه هناك لا يوجد أكل ولا شرب :

{أبيت عند ربي فيطعمني ويسقيني} ^{١٢}

وهذه باختصار أحوال الصالحين .

نسأل الله ﷻ

أن يعيننا على قربه ورضاه ، وأن يطوي عنا كل بين ، ويمحو عنا كل بعد ، ويزيل عنا كل قسوة ، حتى نراه في كل أحوالنا ظاهراً لنا بأعين قلوبنا ، لائحاً لنا ، ظاهراً جلياً بأرواحنا .
وحتى نكون مع الذين أنعم الله عليهم ، من النبيين ، والصديقين ، والشهداء ، والصالحين .

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .



هذا وقد ألمع إلى هذه الحقائق الإمام أبو العزائم
رضي الله عنه حيث يقول:

لي غرام من نشأتي الأولية
حين واجهت وجه رب البرية
لاح لي الوجه في صفا الروح أحياء
ذا غرامٍ إلى المعاني العلية
كنت روحاً أشتاق والنور حولي
صرت جسماً في دار دنيا دنية
ظل كوني قد حجب الروح وَيُحي
عن شهود الأسرار في الصمدية
كيف صبري من بعد رؤية وجه
في صفاء عن صورة مشنوية
أنت يا جسم قد سترت حبيبي
صرت يا جسم للقريب بليّة
خلي روحي تفر لله إني
كانت الروح قبل حين وجودي

في حجاب عن مشهد الواحديّة

فِيّ قد شاهدت جمال جميل

في مقام الأعلين فاشهد أُخِيّ

سخر العالمين علواً وسفلاً

لي أيا روعي كوني عني رضيه

إنني الكنز فيّ غيب المعاني

صاغني الله باليد الروحية

قالت الروح أنت يا جسم رقّ

أشرقت فيك شمسها الأولية

صاغني الله باليدين و أنت

بي نلت ظهوره الأحمدية

الفصل الخامس

❁ احفظ الله يحفظك ❁

احفظ الله يحفظك^(*)

الحمد لله رب العالمين
الظاهر بمظاهر قدرته وفعله لعباده المؤمنين ، والباطن بخفي
لطفه ومكنون حكمته لعباده المخلصين .

سبحانه سبحانه ، من شدة ظهوره ظهر فلم يدركه شيء إلا
بعلمه ، ومن شدة بطونه بطن فلا يحس به ولا يشعر به إلا
الملهمين من عنده ، إله قوي في فعالة ، جميل في خصاله ،
كريم في عطاءه ونواله . دافع كل كيد ، وكل مكروه ، لمن استند
إليه واتخذة وكيلاً .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، جعل خيوط
الأقدار في قبضته ، ومفاتيح الأسباب بين أصابع صنعته ن هو
وحده الذي يقلب الليل على النهار ، ويقلب النهار على الليل ،
وهو وحده الذي يحيي ويميت ، ويرزق من يشاء بأسباب ، ومن
يشاء بغير أسباب ، ومن يشاء بحساب ، ومن يشاء بغير حساب

(*) كانت هذه خطبة الجمعة يوم ٢ من جمادى الآخرة ١٤٢٦ هـ الموافق ٨ من يوليو ٢٠٠٥ م
بمسجد النور بحدائق المعادي بالقاهرة.

وهو وحده الذي يلهم القلوب بما يريد ، ويجعل الخواطر
تجتاح عقول العبيد ، فلا يتحركون إلا بما يريد .
لأنه كما وصف نفسه :

﴿ فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ ﴾ [سورة البروج]

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله ، أسند ظهره
لمولاه ، وفوض أموره كلها لله ، والتجأ في كل أمر إلى حضرة
الله ، وتوجه في كل حاجة إلى مولاه ؛ فما خيَّبه مولاه في مطلب
أو مقصد - طرفة عين ولا أقل - وقال له عن هذه الأمة
المجتباة :

((أنا لهم ما عاشوا ، وأنا لهم إذا ماتوا ، وأنا لهم في
القبور ، وأنا لهم في النشور ، وفي الدنيا أستر على
العصاة ، وفي الآخرة أشقك فيهم ، من توكل عليّ
منهم كفيته ، ومن أقرضني جازيته ، ومن سألني شيئاً
أعطيته)) .

وقال في ذلك في صريح القرآن :

﴿ أَدْعُونِي أَجْتَبْ لَكُمْ ﴾ [الآية (٦٠) غافر]

اللهم صلي وسلم وبارك على سيدنا محمد ، الذي ربط
القلوب بحضرة علام الغيوب ، وجعل المؤمنين أجمعين في كل
زمان ومكان ، لا يتحركون ، ولا يسكنون ، ولا يقولون ، ولا
يفعلون ، ولا يطلبون ، ولا يلدحون ؛ إلا لمن بيده مقاليد
السموات والأرض ، والذي إذا أراد شيئاًإنما يقول له : كن
فيكون .

صلى الله عليه ، وعلى آله أهل إجابته ، وأحبابه الذين
استجابوا لدعوته ، وأتباعه الذين ساروا على هديه ، وتمسكوا
بسنته ، وعلينا معهم أجمعين .

آمين آمين ، يا رب العالمين....

إخواني جماعة المؤمنين !..

لقد كان ما حدث لأصحاب النبي ﷺ ، في زمانه وعصره
أمراً خارقاً للأسباب ، يدعوا كل لبيب ، وكل ذكي ، وكل عاقل ،
أن يبحث في شئونهم ، وأن يحاول أن يقتدي بفعالهم ، لعل الله
ﷻ يرشده ويوجهه إلى طريق الخير والسداد ، كما وجههم
أجمعين .

فكل ما نراه ونلمسه من مشاكل جمّة ، ومن أمراض عامة
وطامة ، ومن كل أنواع الفتن ؛ لا يساوي ذرة مما وجدوا فيه ،
وما كانوا عليه .

لقد وجدوا في بيئة ليس فيها مال ، ولا خير بالمرة ،
وليس فيها إلا القوي يتغلب بقوته على الضعيف ، ويسيطر على
موارد الخير ، ويحرم منها الفقير ، والضعيف ، ... والحديث في
هذا الباب يطول .

ماذا يفعلون ليغيّر الله أفعالهم ، ويقلب الله فقرهم إلى غنى
، وضعفهم إلى قوة ، وسقمهم ومرضهم إلى صحة وفتوة ،
وحياتهم غير المستقرة إلى سعادة وهناءة دائمة ... !

ماذا فعلوا؟

وماذا نفعل؟

أعطاهم النبي روضة صغيرة ، في كلمتين اثنتين ، يستطيع
أبناءنا قبلنا أن يحفظوهما ، وقد وجهها للصغار و للكبار ،
وللمؤمنين والمسلمين في كل زمان ومكان ، على مدى الدهور
والأدوار ، قال لهما في شخص حبيبه عبد الله بن عباس - رضي
الله عنهما - :

{ يا غلام ألا أعلمك كلمات؛ احفظ الله يحفظك ، احفظ
الله ؛ تجده تجاهك }^{١٣}

إذا كنت تخاف من مرض في نفسك ، أو من فقر في بيتك ، أو من شذوذ في أهلك وولذك ، أو من سوء علاقات في أهلك وجيرانك ومن حولك ، أو من أي ذي جبروت وبطش ، أو من عصابات وغيرها من أنواع التخوفات التي تلوح في الأفق - الفينة بعد الفينة - ... كل ما عليك :

" احفظ الله يحفظك " !..!

كيف احفظ الله ؟

أحافظ على ما كلفني به الله ، وأؤديه في الوقت و الحين والزمن الذي خاطبني به الله :

يتولاني الله بولايته ، ويجعلني في حفظه وكنفه وصيانتته ، ويحفظني ظاهرا وباطنا من شرار خلقه ، ومن جميع الأشرار من بريته ، بل من شر الجن والإنس ، وطوارق الليل والنهار ، وكل شيء يخطر على البال ، أو لا يصل حتى إلى الفكر ؛ ولو استعان بالخيال ؛ لأنني أدخل في قول الله :

﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾

[سورة يوسف]

ولذلك صار أصحاب الحبيب على هذه الهيئة :

خرج تاجر من المدينة إلى الطائف - وهي مسافة حوالي أربعمئة كيلو في صحراء جرداء - ليس معه مسدس ، ولا رجال مسلحون ، أو أمن يحفظونه ، ولا يركب سيارة مسرعة ، ولكن يركب جملاً .

كيف سار في هذه البداء ، والصحراء ؟
متكلاً على الله ، ووثقاً في مولاه ، وقلبه يشعر بالطمأنينة ، لأن لسانه دائم بذكر الله :

﴿ **أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ** ﴾

[سورة الرعد]

وقبل الطائف بمرحلتين ، قابله قاطع طريق ؛ فاستوقفه ، ثم أخذه إلى وادي بين جبلين ، ووجد الوادي مملوءاً برؤوس مقطوعة قبله ، فقال له : مصيرك كهؤلاء ..! ؛ فأعطني ما معك من مال ..!

فقال : خذ مالي ودعني ، فإن لي صبية صغاراً لا عائل لهم ، ولا كاسب لهم غيري . فقال له : أما مالك فلا بد منه ، وأما قتلك فأمر ضروري ، ولا مناص منه فلما وجدته مصراً على فعله قال له :

دعني حتى أصلي ركعتين لله **وَعَبَّكَ** .

بمن يستنجد؟

بمن يستغيث؟

أبالنجدة الدنيوية ، أم بفرق الإنقاذ البشرية ؟

لا هذا ..!! ولا ذاك ..!!...:

﴿ أَمَّنْ تَجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ ﴾

[الآية (٦٢) النمل]

صلى الركعة الأولى ، وعند ركوعه للركعة الثانية ؛ سمع صوتاً يقول : دعه يا عدو الله ...! . فواصل الصلاة ، وعند سجوده ؛ سمع الصوت مرة ثانية يقول : دعه يا عدو الله ...! ، فواصل الصلاة ، وفي تشهده ، سمع الصوت مرة ثالثة يقول : دعه يا عدو الله..! ؛ فأنتهى صلاته ، وسلم ؛ فوجد شخصا في يده سيف مخرج بالدم ، وقد قطع عنق قاطع هذا الطريق ؛ فقال له :

من أنت؟

ومن الذي أعلمك بي؟! ..ومن الذي أرسلك إلي؟! فقال :

إنك لما استغثت بمولاي ، وأنت في السجود في الركعة الأولى ، قال الله تعالى : من يجيب عبدي فلاناً بأرض كذا ، هذه اللحظة..؟ فقلت :

أنا ، وأنا ملك من السماء الرابعة .

فلما هممت بالنزول ؛ همّ بقتلك وأنت في الصلاة ، فقلت : دعه يا عدو الله ، وعندما وصلت إلى السماء الأولى ؛ همّ بقتلك مرة ثانية وأنت في الصلاة ؛ فقلت : دعه يا عدو الله ، وأنا على باب هذه الوادي ؛ همّ بقتلك للمرة الثالثة ؛ فقلت : دعه يا عدو الله ، ثم قتلته :

﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ [(٣) الطلاق]

نحتاج إلى جرعة يقين ، ونحتاج إلى شراب من روح الإيقان في هذا الدين ؛ ليقوي يقيننا في الله ، ونعلم أنه لا يحدث في الكون إلا ما يريد الله ، ونعلم علم اليقين حقيقة قول الحبيب :

{ واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء ؛ لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ، وأعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن يضروك بشيء ؛ لن يضروك إلا

بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام ، وجفت
الصحف بما هو كائن إلى يوم القيامة { ١٤

لم تخاف ...،...ومعك الله..؟

ولم تخشَ ...،...وأنت في حماية رب العلا ؟

يقول ربي عزَّ شأنه ، معاتباً لنا في حديثه القدسي :

((يا عبادي لم تخشون من ذي سلطان وجبروت ،

وأنا لي سلطان وجبروت؟

يا عبادي لم تخشون الفقر.؟ وأنا خزائني لا تفنى !))

فإن الأمور كلها بيد الله ، لو اعتمد المؤمن على الله لكفاه ،
ولو اتقاه **عَلَيْكَ** لوجَّه إليه كل ما يحتاجه في هذه الحياة ، لأن
الأمور كلها بأمر الله جلَّ في علاه **عَلَيْكَ** .

وإذا كنت تخشى ضراً في نفسك ، أو أهلك ، أو مالك ،
أو زرعك ، أو عملك ، ألا تعلم أن الله **عَلَيْكَ** يكفي المؤمنين
كل ضرر ، على أن تكون قائماً له بما يريد .

لقد قال الحبيب **صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** على سبيل المثال :

{ من صلى الصبح في جماعه كان في ذمة الله تعالى

إلى أن يمسي } ١٥

لكن هذا لمن يصلي الصبح في جماعة في أول الوقت ،
أما من يصلي بعد الشمس ، أو قبل الظهر ؛ فهذا ليس في ذمة
الله ، ولا ضمان الله ؛ فيحدث له مالا يحمد عقباه ؛ لأنه لم
يعمل ما كلفه به مولاه جلّ في علاه .

يا من يبحثون عن شركات التأمين ..!!.. ، أتعلمون أن رب
العالمين خير أمين على كل شيء تخشونه .

لقد علمنا الحبيب أن نقول عند السفر :

{ اللهم أنت الصاحب في السفر والخليفة في الأهل
والمال والولد }^{١٦} .

يتولى حفظهم ، ويتولى رعايتهم ، ويتولى صيانتهم ؛ مادام
الإنسان يحافظ على عهد الله ، لا يذنب ، ولا يرتكب الآثام ،
ولا يخالف شرع الله ﷻ ، في نفس ، أو أقل ، فإن عناية الله
لا تتخلى عنه .

كيف كان المجاهدون الأولون يحافظون على أهلهم
وذويهم ؟...!!..؟

خرج الرجل مجاهدا إلى بلاد الشام - وزوجته حاملا -
فقال :

(١٥) أخرجه مسلم عن أبي بكر الصديق
(١٦) صحيح مسلم عن ابن عمر وفي سنن الترمذي عن أبي هريرة.

"اللهم إني استودعك ما في بطنها .
 وبعد خروجه بشهر ، ماتت المرأة ، ودفنوها .
 وبعد مجيئه ؛ قال له من حوله من أهله ، ماذا كانت تفعل
 زوجتك؟ قال :

كل خير ، قالوا :

نرى نارا تخرج من قبرها عند المساء ، قال :
 والله ما علمت عنها إلا خيرا ، انظروني إلى المساء .
 وعند المساء ذهب معهم إلى موطن القبر ، فسمع صوت
 طفل يبكي ، فحفر القبر ومن معه ؛ فوجدوا الأم الميتة ،
 وقد خرج رضيعها ، وهو يرضع في ثديها ، وهي ميتة .
 لأن الله **عَلَّمَكَ** حفظه له . وسمع قائلا يقول :

استودعتنا ما في بطنها ؛ فحفظناه لك ، ولو استودعتنا أمه
 ؛ معه لحفظناهما معا :

{ احفظ الله يحفظك ، احفظ الله تجده تجاهك ، وإذا
 سألت فسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن
 الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء ؛ لم ينفعوك إلا
 بشيء قد كتبه الله لك ، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على
 أن يضروك بشيء ؛ لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله

عليك ، رفعت الأعلام وجفت الصحف بما هو كائن إلى
يوم القيامة { ١٧

أو كما قال ..

ادعوا الله وانتم موقنون بالإجابة.

الخطبة الثانية

الحمد لله رب العالمين .
الذي هدانا إلى التقى والهدى ، وأغنانا بفضله عن خلقه
أجمعين .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له .
من أقبل عليه ؛ أقبل عليه بوافر النعم ، وأعطاه مفاتيح
خزائن الجود والكرم .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله ، الصادق في
إخباره عن الله ، والمبلغ بصدق شرع مولاه ، اللهم صلي وسلم
وبارك على سيدنا محمد ، صلاة ترضيك وترضيه ، وترضى بها
عنا يارب العالمين .

أخي المؤمن ...

احفظ الله ؛ تجده تجاهك .

لا أقول جرّب ، لأنه لا يجوز أن نجرب مع الحكيم
الخبير ﷺ ، احفظ أوامر الله ؛ تجد الله معك في كل اتجاه ،
يتولاك بولايته ، ويصونك بصيانتته ، ويواليك بكرمه وجوده ومودته ،
ولا يحوجك نفساً ولا أقل إلي شرار بريته .

هذا المنهج الذي علمه الرسول الأمين ، لأصحابه الكرام

ولذلك قيل لأبي جعفر الصادق - رضي الله عنه - :
أحتاج إلى شيء؟.. قال :

أما من الخلق ، فلا ..! ، قيل :

ولم...؟ قال :

ما احتجت إلى شيء ؛ إلا وقلت يارب : عبدك جعفر
يحتاج إلى كذا ، فلا أستتم كلامي ؛ إلا وأجد هذا الشيء
بجواربي .

ورأى رجل من التابعين ، شيخاً كهلاً يمد يده يطلب
حوائج من الناس ، فقال له :

يا هذا ضيَّعت حقوق الله صغيراً ؛ فضيَّعتك الله **وَعَبَّكَ** كبيراً
، ولو حفظت حقوق الله **وَعَبَّكَ** صغيراً ؛ لحفظك الله **وَعَبَّكَ**
كبيراً.

أروني يا إخواني من يحافظ على أوامر الله ، وتتخلى عنه
عناية الله ، طرفة عين أو أقل ..!!!! لا يكون أبداً !
لأن هذا وعد الله ، ووعد الله **وَعَبَّكَ** لا يتخلف .

إذا كان الله ﷻ يعطي السائل ولو كان بعيداً عن حضرته فكيف بمن هو دائم الإقبال على حضرته ، ويواظب على ذكره وشكره وطاعته ؟

فإن الله ﷻ يديم له الخيرات ، وإذا أحرَّ عنه حاجة ؛ فلأنه بعلمه الإلهي ، يعلم أن مصلحته ليست في تعجيل هذه الحالة ، وهو بعقله الكاسب يظن أن تسريع قضاء هذه الحاجة هو المصلحة ، وهو المهم ، والله ﷻ يعلم ما لا تعلمون .
إخواني وأحبابي !

المؤمن إذا كان مع الله ، كما كان أصحاب حبيب الله ومصطفاه : أعطاه الله ما قال فيه الإمام علي - رضي الله عنه وكرم الله وجهه - حيث يقول :

من أراد غنيً بغير مال ، وعزاً بغير عشيرة ، وقوة بغير أكل وطعام ، فعليه بتقوى الله ﷻ .

نسأل الله ﷻ أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته . اللهم ارزقنا خالص تقواك ، واجعل أفئدتنا في كل أحوالنا توافقك وتخشاك ، وأقبل بنا عليك دائماً وأبداً ، واحفظنا أجمعين من جميع من سواك .

اللهم اكفنا بحلالك عن حرامك .

وأغنا بفضلك عن سواك . ولا تحوجنا إلى أنفسنا ، ولا إلى غيرك ؛ طرفة عين ولا أقل .

اللهم اجعلنا من عبادك الذين تتولاهم بولايتك ، وتحفظهم بحفظك وصيانتك ، وتجعلهم في الدنيا والآخرة من أهل إكرامك وفتحك وعنايتك . اللهم اغفر لنا ، ولوالدينا ، وللمسلمين ، والمسلمات ، والمؤمنين ، والمؤمنات ، الأحياء منهم والأموات إنك سميع قريب مجيب الدعوات يا رب العالمين .

اللهم أصلح ولاة أمورنا وحكامنا ، وأصلح حكام المسلمين أجمعين ، وألهمهم اللهم العمل بشرعك ، وسنة نبيك في كل وقت وحين . وأبعد عنهم حاشية السوء ، وأهل الأهواء ، والدنيا والمعاصي ، يا أحكم الحاكمين .

عباد الله ! ، اتقوا الله.....

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ [النحل]

اذكروا الله يذكركم .. ، واستغفروه يغفر لكم ،

وأقم الصلاة ...

رسالة^(*)

﴿ عُنْوَانُ التَّوْفِيقِ ﴾
﴿ فِي آدَابِ الطَّرِيقِ ﴾

وهو شرح لقصيدة العارف بالله تعالى سيدي أبي مدين الغوث
للعارف بالله تعالى
تاج الدين بن عطاء الله السكندري
نفعنا الله بهما
أمين

(*) راقني هذا الكتاب على صغر حجمه؛ لما فيه من معارف جمّة يحتاج إليها العارف والواصل والسالك؛ ولذلك آثرت أن أنقله برمته ليعم به النفع، وخاصة أنه غير متداول بالمكتبات الآن لندرته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الشيخ العارف القدوة المحقق ، تاج العارفين . ،
ولسان المتكلمين ، إمام وقته ، ووحيد عصره ، تاج الدين أبو
الفضل ، أحمد بن محمد بن عبدالكريم بن عطاء الله السكندري
رضي الله عنه ونفعنا به ، آمين....

الحمد لله .

المنفرد بالخلق والتدبير . الواحد في الحكم والتقدير .
الملك الذي ليس له في ملكه وزير ، الملك الذي لا يخرج عن
ملكه صغير ولا كبير . المتقدس في كمال وصفه عن الشبيه و
النظير . المنزه في كمال ذاته عن التمثيل والتصوير . العليم
الذي لا يخفى عليه ما في الضمير ، ألا يعلم من خلق وهو
اللطيف الخبير . العالم الذي أحاط علمه بمبادئ الأمور ونهاياتها
. السميع الذي لا فضل في سمعه بين ظاهر الأصوات وخفياتها .
الرازق وهو المنعم على الخليقة بإيصال أقواتها . القيوم المتكفل
بها في جميع حالاتها . الوهاب وهو الذي منّ على النفوس
بوجود حياتها . القدير وهو المعيد لها بعد وجود وفاتها .
الحسيب وهو المجازي لها يوم قدمها عليه بحسناتها وسيئاتها .

فسبحانه من إله ؛ منّ على العباد بالوجود قبل الوجود.
 وقام بهم بأرزاقهم على كلتي حالاتهم من إقرار ووجود. ومدّ كل
 موجود بوجود عطاءه. وحفظ وجود العالم بإمداد بقائه. وظهر
 بحكمته على أرضه وقدرته في سمائه. ، وأشهد أن لا إله إلا الله
 وحده لا شريك له ، شهادة عبد مفوّض لقضائه ، مسلّم له في
 حكمه وإمضائه. وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. المفضّل على
 جميع أنبيائه ، المخصوص بجزيل فضله وعطاءه ، الفاتح الخاتم
 ، وليس ذلك لسوائه ، الشافع لكل العباد حين يجمعهم الحق
 لفصل قضائه . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ،
 المستمسكين بولائه ، وسلم تسليماً كثيراً.

اعلم يا أخي !

جعلك الله من أهل حبه ُ وأتحفك بوجود قربه ُ وأذاقك
 من شراب أهل وده ، وأمنّك بدوام وصلته من إعراضه وصدده ،
 ووصلك بعباده الذين خصهم بمراسلاته ، وجبر كسر قلوبهم لمّا
 علموا أنه لا تدركه الأبصار لنور تجلياته ، وفتح لهم رياض القرب
 ، وهب منها على قلوبهم واردات نفحاته ، أشهدهم سابق تدبيره
 فيهم ؛ فسلموا إليه القياد ، وكشف عن خفي لطفه في منعه ؛
 فتركوا المنازعة والعداء ، فهم مستسلمون إليه ومتوكلون عليه .

أما بعد... فقد قال ﷺ :

يحشر المرء على دين خليله؛ فليُنظر أحدكم من يخال .

فإذا علمت أيها الأخ الشقيق : فلا تخال إلا من ينهضك حاله ، وبدلك على الله مقاله . وذلك هو الفقير المتجرد عن السوى ، المقبل على المولى . فليست اللذة إلا مخالته ، ولا السعادة إلا خدمته ومصاحبه . فلذلك قال الشيخ العارف المتمكن أبو مدين رضي الله عنه :

ما لذة العيش إلا صحبة الفقرا

هم السلاطين والسادات والأمرا

أي ما لذة عيش السالك في طريق مولاه ، إلا صحبة الفقرا - والفقراء جمع فقير - والفقير هو المتجرد عن الخلائق ، المعرض عن العوائق ، لم يبق له قبلة ولا مقصد إلا الله تعالى ، وقد أعرض عن كل شيء سواه ، وتحقق بحقيقة لا إله إلا الله محمد رسول الله . فمثل هذا مصاحبه تذيبك لذة الطريق ، وتريق في جميع فؤادك من شراب القوم أهني رحيق ، ويعرفك الطريق ، ويقطع لك العتاب ، ويزيل عن قلبك التعويق ، وينهضك بهمته ، ويرفعك إلى أعلى الدرجات . ومن كان كذلك ؛ فهو السلطان على الحقيقة ، والسيد على أهل الطريقة ، والأمير على أهل البصيرة . فلا تخالف أيها السالك طريقه ؛ فاجتهد أيها السالك المجدد في تحصيل هذا الرفيق ، واصحبه

وتأدب في مجالسه ، يزيل عنك ببركة صحبته كل تعويق ، كما
قال رضي الله تعالى عنه :

فاصحبهم وتأدب في مجالسهم

وخلّ حظك مهما قدموك ورا

أي اصحب الفقراء ، وتأدب معهم في مجالستهم ؛ فإن
الصحة شبح والأدب روحها ، فإذا اجتمع لك بين الشبح
والروح ؛ حزت فائدة صحبته ، وإلا كانت صحبتك ميتة ! ؛ فأبي
فائدة ترجوها من الميت ..!!.

ومن أهم أدب الصحبة :

أن تخلّف حظوظك وراك ، ولا تكن همتك مصروفة إلا
لامتثال أوامرهم ؛ فعند ذلك يشكر مسعاك . فإذا تخلقت بذلك
فبادر ، واستغنم الحضور ، وأخلص في ذلك ؛ ترفع درجتك ،
وتعلو همتك . والحضور كما قال رضي الله عنه :

واستغنم الوقت واحضر دائماً معهم

واعلم بأن الرضا يختص من حضرا

أي واستغنم وقت صحبة الفقرا ، واحضر دائماً معهم
بقلبك ، وقالبك ؛ تسري إليك زوائدهم ، وتعمرك فوائدهم ،
وينضح ظاهرك بالتأدب بآدابهم ، ويشرق باطنك بالتحلي

بأنوارهم . فإن من جالس جانس ؛ فإن جلست مع المحزون
حزنت ، وإن جلست مع المسرور سررت ، وإن جلست مع
الغافلين سرت إليك الغفلة ، وإن جلست مع الذاكرين انتبهت
من غفلتك ، وسرت إليك اليقظة ، فإنهم القوم لا يشقى
جليسهم ؛ فكيف يشقى خادمهم ، ومحبيهم ، وأنيسهم .

وما أحسن ما قيل :

لي سادةٌ من عزّهم ... أقدامهم فوق الجباه
إن لم أكن منهم فلي ... في حبهـم عزٌّ وجاهـ

واعلم أن هذا الرضا ، وهذا المقام ، يخصُّ من حضر
معهم بالتأدب ، وخرج عن نفسه ، وتحلى بالذلة والإنكسار .
فأخرج عنك إذا حضرت بين أيديهم ، وانطرح ، وانكسر ، إذا
حللت بناديهم ؛ فعند ذلك تذوق لذة الحضور . واستعن على
ذلك بملازمة الصمت ؛ تشرق لك أنوار الفرح ، ويغمرك السرور
. كما قال رضي الله عنه :

ولازم الصمت إلا إن سئلت فقل

لا علم عندي وكن بالجهل مستترا

الصمت عند أهل الطريقة ؛ من لازمه ارتفع بنيانه ، وتم
غراسه ، وهو نوعان : صمت باللسان ، وصمت بالجنان ،

وكلاهما لا بد منه في الطريق . فمن صمت قلبه ، ونطق لسانه ؛
نطق بالحكمة . ومن صمت لسانه ، وصمت قلبه ؛ تجلى له
سره ، وكلمه ربه ، وهذا غاية الصمت ، وكلام الشيخ قابل لذلك

فالزم الصمت أيها السالك ، إلا إن سئلت . فإن سئلت ؛
فارجع إلى أصلك ووصلك ، وقل لا علم عندي ، واستتر
بالجهل ؛ تشرق لك أنوار العلم اللدني . فانك مهما اعترفت
بجهلك ، ورجعت إلى أصلك ؛ لاحت لك معرفة نفسك . فإذا
عرفتها ؛ عرفت ربك ، كما روى في الحديث : " من عرف نفسه
؛ عرف ربه " . وكل ذلك من فوائد الصمت ، ولزوم آدابه .
فاصمت ، وتأدب ، ولازم الباب ؛ تكن من أحبابه .

وما احسن ما قيل:

لا أبرح الباب حتى تصلحوا عوجي

وتقبلوني على عيبي ونقصاني

فإن رضيتم فيا عزّي ويا شرفي

وإن أبيتم فمن أرجو لعصيانني

فانهض أيها الأخ إلى باب مولاك بهمة عليّة ، وتحقق
بعبوديتك ؛ تشرق عليك أنواره السنّية ، كما أشار إلى ذلك
الشيخ رضي الله عنه بقوله :

ولا ترى العيب إلا فيك معتقداً

عيباً بدا بيناً لكنه استترا

أي تحقق بأوصافك من فقرك ، وضعفك ، وعجزك ،
وذلتك . فإذا تحققت بأوصافك ، وشهدت لنفسك عيوباً -
لكنها مستترة - فعند ذلك تحظى بظهور أوصاف مولاك فيك ،
كما قيل : "سبحان من ستر سر الخصوصية في ظهور البشرية ،
وظهر بعظمة الربوبية في إظهار العبودية ، وافهم من هنا سر
معنى قوله : ﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ﴾ ولم يقل
برسوله ، ولا بنبيه .

أشار إلى ذلك المعنى الرفيع الذي لا يُنال إلا من العبودية ،
ولذلك قيل :

لا تدعني إلا بيا عبدها ... فإنه أشرف أسمائي

فانكسر أيها الأخ ، وانطرح بالطريق ، ولا تر لك حالاً ولا
مقالاً ؛ يزل عنك كل تعويق . واستغفر من كل ما يخطر بقلبك
في عبوديتك ، وقم على قدم الاعتراف ، وانصف من نفسك ؛
تبلغ أعلى درجات المنازل ، وتفنى بشريتك . كما قال - رضي
الله تعالى عنه - :

وحط رأسك واستغفر بلا سبب

وقف على قدم الإنصاف معتذراً

أي تواضع وانكسر ، وحط اشرف ما عندك - وهو رأسك - في أخفض ما يكون - وهي الأرض - لتحوز مقام القرب . كما ورد في الحديث : " أقرب ما يكون العبد إلى الله تعالى وهو ساجد " ، لأن قرب العبد بتواضعه ، وانكساره ، وخروجه عن أوصاف بشريته .

واشهد نفسك دائماً مذنباً ، ولو لم يظهر عليك سبب الذنب ، فإن العبد لا يخلو من تقصير .

وقف على قدم الإنصاف من ذنوبك ، خجلاً من سيئاتك وعيوبك . فإن من عامل المخلوق هذه المعاملة ؛ أحبه ، ولم يشهد له ذنباً ، وكانت مساويه عنده محاسن . فكيف إذا عامل بهذه المعاملة صاحبه الحقيقي ، الذي إذا تحققه ليس له صاحبٌ سواه ، كما ورد في الحديث : " اللهم أنت الصاحب في السفر ، والخليفة في الأهل والمال والولد " .

فتأهب أيها الأخ لهذه المعاملة مع إخوانك الفقراء ؛ لتصير لك معراجاً تتوصل بها إلى معاملة رب السماء ، وتكون مقبولاً عند الخلق والخالق ، وتصفو لك المعاملة ، وتشرق عليك أنوار الحقائق .

قال رضي الله عنه :

وإن بدا منك عيب فاعتذر وأقم
 وجه اعتذارك عمّا فيك منك جرى
 وقل عبيدكمو أولى بصفحكمو
 فسامحوا وخذوا بالرفق يا فقرا
 هم بالفضل أولى وهو شيمتهم
 فلا تخف دركا منهم ولا ضررا

أي ليكن شأنك دائماً التواضع ، والانكسار ، وطلب
 المعذرة والاستغفار ، سواء وقع منك ذنب ، أو لم يقع . وإن بدا
 منك عيب ، أو ذنب ، فاعترف واستغفر ، فإن التائب من
 الذنب كمن لا ذنب له . وليس الشأن أن لا تذنب ، إنما الشأن
 أن لا تصرّ على الذنب ، كما ورد : " أنين المذنبين عند الله ،
 خيرٌ من زجل المسبحين " عجباً وافتخارا .

ولذلك قلتُ في الحكم : ربما فتح لك باب الطاعة ، وما
 فتح لك باب القبول وقضى عليك بالذنب ؛ وكان سببا للوصول
 . معصيةً أورثت ذلا وانكسارا ، خيرٌ من طاعةٍ أورثت عزا
 واستكباراً . ومع اعترافك ، واستغفارك ، أقم وجه اعتذارك عما
 جرى منك ؛ فيكون ذلك ممحي للذنب ، وادخل في القبول .
 وذِل ، وتواضع ، وانكسر ، وقل عبيدكم أولى بصفحكم ، لأن
 العبد ليس له إلا باب مولاة .

وما احسن ما قيل :

أَلقيت في بابكم عناني ... ولم أبالِ بما عناني
فزال قبضي وزاد بسطي ... وانقلب الخوف بالأمانِ

فسامحوا عُبيدكم يا فقرا ، وخذوا بالرفق ، وعاملوني به ،
فإني عبد فقير ، لا يصلحني إلا المعاملة بالرفق والفضل ، ولا
اعتماد لي إلا على الفضل ، لا بحولي ، ولا قوتي ، ... مذهبي
العجز ، والسلام .

ثم قال رضي الله عنه :

إنهم أولى بهذا الشيء - وهو شيمتهم - ولم يزالوا
متفضلين ، وهذه معاملتهم مع أصحابهم - وهي سجيتهم .
وكيف لا تكون سجيتهم ، وهم متخلقون بأخلاق مولاهم ، كما
ورد : " تخلقوا بأخلاق الله " .

فلا تخف منهم ضرراً أيها السالك المصاحب لهم ،
وتمسك بأذيالهم ، فإنهم القوم لا يشقى جليسهم .

فإذا عرفت ذلك أيها السالك : فتخلق بأخلاقهم الكريمة
، وُجد بالتفتي على الإخوان ، وغض الطرف عن عشرتهم ؛ تكن
آخذاً من أوصافهم أحسن هيئة .

قال رضي الله عنه:

وبالتفتي على الإخوان جد أبدا

حساً ومعنىً وغض الطرف إن عثرا

أي وتكرم على إخوانك ، وجد عليهم أبداً ، بما في
الحس فببذل الأموال ، وأما في المعنى فبصرف همه الأحوال .
ولا تبخل عليهم بشيء يمكنك إيصاله إليهم ، فإن السماح لب
الطريق ، ومن تخلق بها ؛ فقد زال عن قلبه كل تعويق .

قال الشيخ عبدالقادر - رضي الله عنه :

إخواني ، ... ما وصلت إلى الله تعالى بقيام ليل ، ولا صيام
نهار ، ولا دراسة علم ، ولكن وصلت إلى الله بالكرم ، والتواضع
، وسلامة الصدر .

فدل كلام الشيخ - رضي الله عنه - أن الكرم هو الأساس
، وأن التواضع يتم للسالك به الغراس .

فإذا تم له هذان الأمران ؛ سلم صدره من العلائق ، وزال
عن طريقه كل عائق .

ولذلك ورد في الحديث : " إن في الجنة لغرفاً ، يرى
ظاهرها من باطنها ، وباطنها من ظاهرها ، أعدها الله تعالى لمن

ألان الكلام ، وأطعم الطعام ، وتابع الصيام ، وصلى بالليل والناس نيام " .

فتأمل هذا الحديث يا أخي ، حيث بدأ ﷺ بإلانة الكلام

: وهو إشارة إلى التواضع ، ثم ثنى بإطعام الطعام : وهو إشارة إلى الكرم ، ثم أتى بعد ذلك بالصلاة والصيام ، كما أشار إليه الشيخ عبدالقادر .

فانهض أخي إلى هذه المآثر وبادر . واجمع معها حسن مكارم الأخلاق .

وغض الطرف عن مساوئ الإخوان - إن وقفت منهم على عشرة - ولا تشهد إلا محاسنهم ، كما قال - رضي الله عنه - في حكمه الفتوحية : " رؤية محاسن العبيد ، والغيبة عن مساويهم ؛ ذلك شيء من كمال التوحيد " . كما قيل :

إذا ما رأيت الله في الكل فاعلاً ... رأيت جميع الكائنات ملاحاً

فإذا تخلقت أيها الأخ بهذه الخصال الشريفة ، فقد تأهلت للإقبال على الشيخ ؛ فانهض إلى عتبة بابه ، وراقبه بهمة منيفة ، كما أشار إلى ذلك الشيخ رضي الله عنه بقوله :

وراقب الشيخ في أحواله فعسى

يرى عليك من استحسانه أثرا

أي إذا تخلقت بما تقدم من الآداب ، ووصلت بافتقارك وانكسارك إلى الشيخ ، وتمسكت بأثر تلك الأعتاب ، فراقب أحواله ، واجتهد في حصول مرضيه ، وانكسر ، واخضع له في كل حين ؛ فإنه الترياق والشفاء ، وإن قلوب المشايخ ترياق الطريق . ومن سعد بذلك ؛ تم له المطلوب ، وتخلص من كل تعويق .

واجتهد أيها الأخ في مشاهدة هذا المعنى ، فعسى يرى عليك من استحسانه لحالك أثرا .

قال بعضهم :

" من أشد الحرمان ، أن تجتمع مع أولياء الله تعالى ولا ترزق القبول منهم ، وما ذلك إلا لسوء الأدب منك ، وإلا فلا بخلٌ من جانبهم ، ولا نقصٌ من جهتهم " . كما قلت في الحكم : ما الشأن وجود الطلب ، إنما الشأن أن تورث حسن الأدب .

زار بعض السلاطين ضريح أبي يزيد - رضي الله عنه -

وقال : هل هنا أحد ممن اجتمع بأبي يزيد ؟

فأشير إلى شيخ كبير في السن - كان حاضراً هناك -
فقال له :

هل سمعت شيئاً من كلامه ؟ فقال :

نعم ...! قال : " من زارني لا تحرقه النار " .

فاستغرب السلطان ذلك الكلام ..! ؛ فقال :

كيف يقول أبو يزيد ذلك ، وأبو جهل رأى النبي ﷺ وهو تحرقه
النار ، فقال ذلك الشيخ للسلطان :

أبو جهل لم يرَ النبي ﷺ ، إنما رأى يتيم أبي طالب ، ولو رآه
...!.. لم تحرقه النار...

ففهم السلطان كلامه ، وأعجبه هذا الجواب منه ، أي أنه
لم يره بالتعظيم والإكرام واعتقاد أنه رسول الله ، ولو رآه بهذا
المعنى ؛ لم تحرقه النار . ولكنه رآه باحتقار واعتقاد أنه يتيم أبي
طالب ؛ فلم تنفعه تلك الرؤية .

وأنت يا أخي ! لو اجتمعت بقطب الوقت ، ولم تتأدب ؛
لم تنفعك تلك الرؤية ! ؛ بل كانت مضرتها عليك أكثر من
منفعتها !.

إذا فهمت ذلك أيها السالك :

فتأدب بين يدي الشيخ ، واجتهد أن تسلك أحسن المسالك ، وخذ ما عرفت بجد واجتهاد ، وانهض في خدمته ، وأخلص في ذلك ؛ لتسد مع من ساد . كما قال :

وقدّم الجد وانهض عند خدمته

عساه يرضى وحاذر أن تكن ضجرا

ففي رضاه رضى البارى وطاعته

يرضى عليك فكن من تركه حذرا

أي وانهض في خدمة الشيخ بالجد فعساك تحوز رضاه ؛ فتسود مع من ساد . واحذر أن تضجر ، ففي الضجر الفساد ، ولازم أعتاب بابه في الصباح والمساء ، لتحوز منه الوداد .

وما أحسن ما قيل :

اصبر على مضمض الإدلاج في السّحر

وللندور على الطاعات بالبر

وقل من جدّ في أمر يؤمّله

ما استصحب الصبر إلا فاز بالظفر

فإن ظفرت أيها السالك برضاه ؛ رضى الله تعالى عنك ،

ونلت فوق ما تمنيت .

فاستقم أيها الأخ في رضى شيخك ، وطاعته ؛ تظفر بطاعة مولاك ورضاه ، وتفوز بجزيل كرامته .

فعض أيها الأخ بالنواجذ على خدمة الشيخ ، إن ظفرت بالوصول إليه ، واعلم أن السعادة قد شملتك من جميع جهاتك إذا عرفك الله تعالى به ، وأطلعك تعالى عليه ، فإن الظفر به لا سيما في هذه الأيام أعز من الكبريت الأحمر . واعلم أن طريق القوم دراسة ، وحال من يدعيها كيف ترى ، لكن إذا ساعدتك العناية ؛ ظفرت ، وشممت من نفحة طيبه ما يفوق المسك الأذفر . ولذلك قال - رضى الله تعالى عنه وعنّا به - آمين :

واعلم بأن طريق القوم دراسة

وحال من يدعيها اليوم كيف ترى

متى أراهم وأنى لي برؤيتهم

أو تسمع الأذن مني عنهم خبرا

من لي وأنى لمثلي أن يزاحمهم

على موارد لم آلف بها كدرا

أحبهم وأداريهم وأوثرهم

بمهجتي وخصوصاً منهم نفرا

شرع الشيخ رضى الله عنه يشوق السالكين إلى طريق أهله

، وينبهرهم أن طريقهم دراسة ، وحال من يدعيها اليوم كما ترى

في الفترة ؛ حتى كادت الهمم أن تكون من الطلب آيسة .

وهكذا شأن طريق القوم لعزتها ، كأنها في كل عصر مفقودة ، ولا يظفر بها إلا الفرد بعد الفرد ، وهذه سنة معهودة . وذلك أن الجوهر النفيس لا يزال عزيز الوجود ، يكاد لعزته يُحْكَم بأنه ليس بموجود ، والطريق أهلها مخفيون في العالم خفاء ليلة القدر في شهر رمضان ، وخفاء ساعة الجمعة في يومها ؛ حتى يجتهد الطالب في طلبه بقدر الإمكان ، فإن من جدَّ وجد ، ومن قرع الباب ولج .

قلتُ بعد أن ذكر " لا بد من الشيخ في الطريق " - على سبيل السؤال والجواب - كيف تأمرنا بذلك ! وقد قيل " إن وجود الشيخ كالكبريت الأحمر ! وكالعنقاء ! من ذا الذي بوجودها يظفر ! .. كيف تأمرني بتحصيل من هذا شأنه ؟

فقال : لو صدقتَ في الطلب ! وكنتَ في طلبه كالطفل والظمآن ! لا يقر لهم قرار ! ولا تسكن لوعتهم حتى يظفروا بمقصودهم ! .

فأشار الشيخ - رضي الله تعالى عنه - إلى أن الشيخ موجود ، وكيف لا يكون موجودا ، وعمارة العالم إنما هي بأمثاله . فإن العالم شخص ، والأولياء روحه ، فما دام العالم موجودا ؛

لا بد من وجودهم . لكن لشدة خفائهم ، وعدم ظهورهم ؛ حكم
بفقدانهم .

فاجتهد أيها الأخ ، وصدق في الطلب ؛ تجد المطلوب .
واستعن على ذلك الطلب بمدد علام الغيوب .
فإن الظفر لا يحصل إلا بمجرد فضله . وإذا أوصلك للشيخ ؛
فقد أوصلك إليه ، كما قلت في الحكم : " سبحان من لم يجعل
الدليل على أوليائه إلا من حيث الدليل عليه ، ولم يوصل إليهم
إلا من أراد أن يوصله إليه " .

ثم إن الشيخ - رضى الله عنه - لما ذكر عزة الطريق
وفقدان أهلها ؛ شرع يتأسف على الاجتماع بهم ، ويتمناه ،
ويستبعد من نفسه حصول ذلك ، والتشرف بلقائه - تواضعاً منه
وانكساراً ، وهضماً لنفسه واحتقاراً - ، ولذا قال بعد ذلك : من
لي وأنى لمثلي أن يزاحمهم .. إلخ ، وهذا شأن العارف لنفسه
بنفسه ، الممتلي بمعرفة ربه ، المتحلي بواردات قدسه ؛ لأنه لا
يرى لنفسه حالاً ولا مقالاً ، بل يرى نفسه أقل من كل شيء ،
وهذا هو النظر التام ، كما قيل :

إذا زاد علم المرء زاد تواضعاً... وإذا زاد جهل المرء زاد ترفعاً
وفي الغصن من حمل الثمار مثاله... فإن يعزُّ عن حمل الثمار
تمنعاً

فانظر إلى الشيخ أبي مدين ورفعته في الطريق ، مع أنه وصل من تربيته اثني عشر ألف مرید ، وانظر إلى هذا التنزل منه والتدلي بأغصان شجرة معرفته ، إلى أرض الخضوع والانكسار حتى أنه لم ير نفسه أهلاً للاجتماع بأهل هذه الطريقة ، ويزيده هذا الانخفاض من الارتفاع ؛ لأن الشجرة لا يزيد لها انخفاضها في عروقها إلا ارتفاعاً في رأسها . فتواضع أيها الأخ في الطريق ، وخذ هذا الأصل العظيم من هذا العارف المتمكن ؛ يزل عنك كل تعويق .

ثم قال - رضي الله تعالى عنه - بعد ذلك : " أحبهم الخ " ، أي : وإن لم أكن أنا منهم ، فإني أحبهم ، ومن أحب قوماً فهو منهم ، كما ورد في الحديث : " المرء مع من أحب " ، وكما قيل :

أحب الصالحين ولست منهم....لعلى أن أنال بهم شفاعة
وأكره من كانت بضاعته المعاصي....وإن كنا سواء في البضاعة

وهذا أيضاً منه - رضي الله تعالى عنه - من تمام التنزل السابق ، وتكميلاً وتتميماً ؛ ولهذا تواضع الذي لم يلحق جواد شرفه في ميدانه لاحق . نفعنا الله تعالى ببركاته ، ووفنا من معاملاته ، لأن هذه خصال القوم وصفاتهم ؛ ولذلك ارتفعت

رتبهم ، وجزلت عطيتهم ، كما وصفهم - رضى الله تعالى عنه -
بقوله :

قوم كرام السجايا حيث ما جلسوا

يبقى المكان على آثارهم عطرا

يهدى التوصف من أخلاقهم طرقا

حسن التألف منهم راقني نظرا

هم أهل ودي وأحابي الذين هم

ممن يجر ذيول العز مفتخرا

لا زال شملي بهم في الله مجتمعا

وذنبنا فيه مغفورا ومغتفرا

ثم الصلاة على المختار سيدنا

محمد خير من أوفى ومن نذرا

أي قوم سجايهم كريمة، وهمتهم عظيمة ، حيثما جلسوا ؛

تبقى آثار نفحات عطرم في المكان ظاهرة ، وأينما توجهوا ؛

تسطع شمس معارفهم ؛ فتشرق القلوب ، وتصلح بهم الدنيا

والآخرة . يهدي التصوف للسالك المشتاق من أخلاقهم طرقا

مجيدة ، تدل على الطريق ، ويسير في سلوكه سيرة حميدة .

فلذلك جمعوا أحسن تأليف ؛ حتى راق كل ناظر ، وجد وفي

أكمل معنى لطيف ؛ حتى اكتحلت بكحل أئمتهم أنوار البصائر .

ولذلك قال الشيخ - رضي الله تعالى عنه - بعد ذلك : " هم أهل ودي وأحابي .. الخ " ، فإن الشخص لا يحب إلا من جانسه ، ولا يود إلا من كان بينه وبينه مؤانسة ، وفي هذا الكلام إشارة إلى أنه - رضي الله تعالى عنه - من جملتهم ، وطينته من طينتهم ، وما تقدم منه في التواضع والانكسار ؛ دليل على التحقيق في هذا المجد والفخار ، كما تقدمت الإشارة إلى ذلك ؛ فنسأل الله تعالى أن يسلك بنا أحسن المسالك .

ثم دعا وسأل ، أنه لا يزال شمله مجتمعاً بهم في الله تعالى ، وذنبه مغفوراً .

ونحن نسأله أيضاً ، إتمام الصلاة والسلام على سيدنا محمد المختار ، خير من أوفى ، ومن نذر ، ومن أكرم الجار ، وعلى آله وصحبه السادة الأبرار ، والتابعين ، وتابعيهم بإحسان إلى يوم القرار .

وهذا الرِّقْمُ ، لمن تعطش ليله في معاني هذه الأبيات ، وإلا فنحن معترفون بالعجز والتقصير عن معانيها ، وانما الأعمال بالنيات ، والله أعلم .



هذه القصيدة لشيخ الشيوخ أبي مدين ،
 أعاد الله علينا من بركات علومه .. آمين
 والتخميس - للقصيدة المذكورة - لسيدي الشيخ
 محيي الدين بن العربي ، قدس الله سره

يا طالبا من لذات الدنيا وطرا
 إذا أردت جميع الخير فيك يرى

المستشار أمين فاسمع الخبرا
 ما لذة العيش إلا صحبة الفقرا
 هم السلاطين والسادات والأمرا

قوم رضوا بيسير من ملابسهم
 والقوت لا تخطر الدنيا بهاجسهم

صدورهم خاليات من وساوسهم
 فاصحبهموا وتأدب في مجالسهم
 واخل حظك مهما قدموك ورا

أسلك طريقهموا إن كنت تابعهم

واترك دواعيك واحذر أن تراجعهم

فيما يريدونه واقصد منافعهم

﴿ واستغنم الوقت واحضر دائماً معهم ﴾
﴿ واعلم بأن الرضى يختص من حضراً ﴾

كن راضياً بهمو تسمو بهم وتصل

إن أثبتوك أقم أو إن محوك فزل

وإن أجاعوك فجع أو أطعموك فكل

﴿ ولازم الصمت إلا إن سئلت فقل ﴾
﴿ لا علم عندي وكن بالجهل مستترا ﴾

ولا تكن لعيوب الناس منتقدا

وإن يكن ظاهراً بين الوجود بدا

وانظر بعين كمال لا تعب أحدا

﴿ ولا ترى العيب إلا فيك معتقدا ﴾
﴿ عيباً بدا بيناً لكنه استترا ﴾

تدل بذلك ما ترجوه من أرب

والنفس ذلل لهم ذلاً بلا ريب

بل كل ذلك ذل ناب عن أدب

﴿ وحط رأسك واستغفر بلا سبب ﴾

وقم على قدم الانصاف معتذرا

إن شئت منهم بريقا للطريق تشم
عن كل ما يكرهوه من فعالك دم

والنفس منك على حسن السؤال آدم
وإن بدا منك عيب فاعترف وأقم
وجه اعتذارك عما فيك منك جرى

لهم تملق وقل داووا بصلحكم
بمرهم العفو منكم داء جرحكم

أنا المسيء هبوا لي محض نصحكم
وقل عبيدكم أولى بصفحكم
فسامحوا وخذوا بالرفق يا فقرا

لا تخشى منهم إذا أذنبت همتهم
أسنى وأعظم أن ترديك عشرتهم

ليسو جبايرة تؤذيك سطوتهم
هم بالفضل أولى وهو شيمتهم
فلا تخف دركا منهم ولا ضررا

إذا أردت بهم تسلك طريق هدى
كن في الذي يطلبوه منك مجتهدا

في نور يومك واحذر أن تقول غدا
وبالتفتي على الإخوان جد أبدا
حسا ومعنا وغض الطرف إن عثرا

أصدقهم الحق لا تستعمل الدنسا
لأنهم أهل صدق سادة رؤسا

واسمح لكل امرئ منهم إليك أسا
وراقب الشيخ في أحواله فعسى
يرى عليك من استحسانه أثرا

واسأله دعوته تحظ بدعوته
تل بذلك ما ترجو ببركته

وحسن الظن واعرف حق حرمة
وقدم الجد وانهض عند خدمته
عساه يرضى وحاذر أن تكن ضجرا

واحفظ وصيته زد من رعايته
ولبّه إن دعا فورا لساعته

وغض صوتك بالنجوى لطاعته
ففي رضاه رضى الباري وطاعته
يرضى عليك فكن من تركها حذرا

والزم بمن نفسه نفس مسايسة

في ذا الزمان فإن النفس آيسة

منهم وحرقتهم في الناس باخسة

واعلم بأن طريق القوم دارسة
وحال من يدعيها اليوم كيف ترى

يحق لي إن نأوا عنى لألفتهم

ألازم الحزن مما بي لفرقتهم

على انقطاعي عنهم بعد صحبتهم

متى أراهم وأنى لي برؤيتهم
أو تسمع الأذن مني عنهم خبرا

تخلفي مانعي من أن ألائمهم

منهم أتيت فلمني لست لائمهم

يا رب هب لي صلاحا كي أنادمهم

من لي وأنى لمثلي أن يزاحمهم
على موارد لم ألف بها كدرا

جلت عن الوصف أن تحصى مآثرهم

على البواطن قد دلت ظواهرهم

بطاعة الله في الدنيا مفاخرهم

أحبهم وأداريهم وآثرهم
بمهجتي وخصوصاً منهم نفراً

قوم على الخلق بالطاعات قد رؤسوا
منهم جليسهم الآداب يقتبسوا

ومن تخلف عنهم حظه التعس
قوم كرام السجايا حيثما جلسوا
يبقى المكان على آثارهم عطرا

فهم بهم لا تفارقهم تزد شغفا
وإن تخلفت عنهم فانتحب أسفا

عصابة بهم يكسى الفتى شرفا
يهدي التصوف من أخلاقهم طرقا
حسن التألف منهم راقني نظرا

جررت ذيل افتخاري في الهوى بهم
لما رضوني عبيداً في الهوى لهم

وحقهم في هواهم لست أنسهم
هم أهل ودي وأحابي الدين هم
ممن يجز ذبول العز مفتخرا

قطعت في النظم قلبي في الهوى قطعاً

وقد توسلت للمولى بهم طمعا

أن يغفر الله لي وللمسلمين معاً

❁ لا زال شملي بهم في الله مجتمعا ❁
❁ وذنبا فيه مغفورا ومغتفرا ❁

يا كلَّ من ضمَّه النادى بمجلسنا

أدعو الإله بهم يمحو الذنوب لنا

و أدعو لمن خمَّس الأصل الذي حسنَ

❁ ثم الصلاة على المختار سيدنا ❁
❁ محمداً خير من أوفى ومن نظر ❁

مَشَتْ

رسالة

﴿عنوان التوفيق في آداب الطريق﴾

للعارف بالله تعالى تاج الدين بن عطاء الله السكندري

المؤلف فى سطور

فوزى محمد أبوزيد

❁ تاريخ ومحل الميلاد :

١٨/١٠/١٩٤٨ م ، الجميزة - مركز السنطة - محافظة الغربية

❁ المؤهل :

ليسانس كلية دار العلوم ، جامعة القاهرة ١٩٧٠ م .

❁ العمل :

مدير عام بمديرية طنطا التعليمية .

❁ النشاط :

يعمل رئيسا للجمعية العامة للدعوة إلى الله بجمهورية مصر العربية ، والمشهرة برقم ٢٢٤ ومقرها الرئيسى : ١١٤ ، شارع ١٠٥ ، حدائق المعادى بالقاهرة ، ولها فروع فى جميع أنحاء الجمهورية . يتجول فى جميع أنحاء الجمهورية ؛ لنشر الدعوة الإسلامية ، وإحياء المثل والأخلاق الإيمانية ، بالحكمة والموعظة الحسنة . بالإضافة إلى الكتابات الهادفة إلى إعادة المجد الإسلامى ، والتسجيلات الصوتية و الوسائط المتعددة (الملتيميديا) للمحاضرات و الدروس و اللقاءات ، على الشرائط و الأقراص المدمجة .

وأيضاً من خلال موقعه على شبكة المعلومات الدولية)
 الإنترنت : WWW.Fawzyabuzeid.com

دعوته :

يدعو إلى نبذ التعصب والخلافات بين المسلمين ، والعمل
 على جمع الصف الإسلامي ، وإحياء روح الإخوة الإسلامية ،
 والتخلص من الأحقاد ، والأحساد ، والأثرة ، والأنانية ، وغيرها من
 أمراض النفس .

يحرص على تربية أحبائه على التربية الروحية الصافية ، بعد
 تهذيب نفوسهم ، وتصفية قلوبهم .

يعمل على تنقية التصوف مما شابه من مظاهر بعيدة عن روح
 الدين ، وإحياء التصوف السلوكي المبني على القرآن ، وعمل رسول
 الله ﷺ ، وأصحابه الكرام .

هدفه :

إعادة المجد الإسلامي ببعث الروح الإيمانية ، ونشر الأخلاق
 الإسلامية ، وترسيخ المبادئ القرآنية .

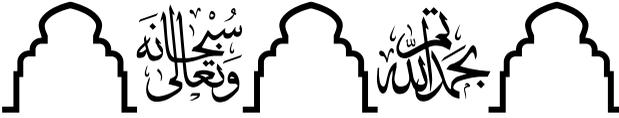
فهرس

٧	مقدمة
١١	الفصل الأول
		الحيرة
١٣	• الحيرة
٢٣	الفصل الثاني
		علامات التوفيق فى بدايات أحوال أهل الطريق
٢٥	• علامات التوفيق
٢٩	• التوفيق
٣٠	• العلامة الأولى.....إلهام العبد ذكر الله
٣٤	• بسم الله
٤١	• أذكار الصباح و المساء
٥١	• العلامة الثانية.....الفقه فى الدين
٥٥	الفصل الثالث
		العلم للعمل
٥٧	• العلم للعمل
		• المجالس
٦٢	بالأمانات

٦٦	• العمل الخالص لله
٧١	• تربية الإنسان لنفسه.....
٧٩	• الفصل الرابع.....
أسرار الحسنى السابقة	
٨١	• طيب الحبيب.....
٨٣	• حقيقة القيام لرسول الله ﷺ.....
٨٦	• سرُّ معرفة الله.....
٨٩	• الدرّة النورانية.....
٩٣	• جزاء الإحسان.....
٩٦	• الذكرى تنفع المؤمنين.....
٩٩	• ألفة القلوب.....
١٠٣	• مشاهد الأصفياء.....
١٠٥	• جهاد العارفين.....
١٠٩	• الفصل الخامس احفظ الله يحفظك
١١١	• احفظ الله يحفظك.....
١٢٧	• رسالة : عنوان التوفيق فى آداب الطريق لابن عطاء الله..
١٥٧	• المؤلف فى سطور : فوزى محمد

.....أبو زيد

..... فهرست • ۱۵۹



دار الايمان والحياة تقدم كتب للمؤلف

أولا : من أعلام الصوفية المعاصرين :

١- الإمام أبو العزائم المجدد الصوفي .

٢- الشيخ محمد على سلامة "سيرة وسريرة" .

ثانيا : الدين والحياة :

٣ - زاد الحاج والمعتمر .

٤ - نضحات من نور القرآن (الجزء الأول والثاني) .

٥ - مائدة المسلم بين الدين والعلم (ترجم إلى الإنجليزية والاندونيسية) .

٦ - مفاتيح الضرح (ترجم إلى الاندونيسية) .

٧ - تربية القرآن لعجيل الايمان (ترجم إلى الإنجليزية والاندونيسية) .

٨ - فتاوى جامعة للشباب .

٩ - نور الجواب على أسئلة الشباب .

١٠ - الخطب الالهامية (المناسبات : ستة أجزاء) .

١١ - إصلاح الأفراد والمجتمعات في الإسلام .

ثالثا: الحقيقة المحمدية :

١٢ - حديث الحقائق عن قدر سيد الخلائق .

١٣ - الكمالات المحمدية .

١٤ - الرحمة المهداة .

١٥ - إشراقات الإسراء .

رابعا: الطريق إلى الله :

١٦ - طريق الصديقين إلى رضوان رب العالمين (ترجم إلى الاندونيسية) .

١٧ - أذكار الأبرار .

١٨ - طريق المحبوبين و أذواقهم .

١٩ - المجاهدة للصفاء والمشاهدة .

٢٠ - علامات التوفيق لأهل التحقيق .

خامسا: دراسات صوفية معاصرة :

٢١ - الصوفية والحياة المعاصرة

٢٢ - الصفاء والأصفياء

٢٣ - أبواب القرب ومنازل التقريب

٢٤ - الصوفية في القرآن والسنة

سادسا : تحت الطبع للمؤلف :

٢- الإسلام واليهود .

١- الخطب الالهامية (ج ٧)

٤- مراقى الصالحين .

٢- جهاد العارفين لأنفسهم